نموك في الإيمان

ريتشارد أ. بنيت

نموك في الإيمان

ريتشارد أ. بنيت

نموك في الإيمان

إنّ كثيرين – واأسفاه! – يعرفون مقدارًا كبيرًا من مادَّة كلمة **الله**، غير أنَّهم لا يعيشون في ضوء معرفتهم الوافرة. بل إنّهم بدلاً من ذلك يُقفلون على معرفتهم بالكتاب المقدَّس في أغوار عقولهم، وينتهجون بغباوة طُرق العالم الباطلة. ويا لها من مأساة، إذ إنَّ كلمة **الله** لا توافق أبدًا الفكر العصريَّ وأنماط الحياة السائدة!

إنَّنا جميعًا نعيش في أيَّام محفوفة بالمخاطر، فيما يعدو العالم قدمًا في التمرُّد على **الله** وفي عصيان وصاياه. ففي سبيل التأثير في جيل رافضٍ للمسيح، ينبغي أن نكون طائعين وصادقين. وعندما نبدأ بإطاعة الحقائق التي يُرينا **الله** إيّاها، عندئذٍ فقط ننفتح كي تفيض قوَّته من خلالنا إلى عالمٍ محتاج.

إنّه كتاب يشدّك إليه

نموك في الإيمان

www.ccim-media.com

نموُّك في الإيمان

ريتشارد أ. بَنيت

حقوق النشر محفوظة©

Cross Currents International Ministries

الترجمة العربية مطبوعة بإذن من أصحاب الحقوق.
الطبعة الأولى ٢٠٠٥
الطبعة الثانية ٢٠٠٨
ISBN: 9789953530086

التصميم الدّاخلي والغلاف

Dar Manhal Al Hayat
دار منهل الحياة

المحتويات

تصدير	٦
مقدّمة	٨
الفصل ١ مسرَّة النفس اليوميَّة	١٤
الفصل ٢ الرأس والقلب	٢٤
الفصل ٣ إعداد النفس بروح الصلاة	٣٨
الفصل ٤ وقت المعيَّة	٦٨
الفصل ٥ عامل الإيمان	٩٠
الفصل ٦ وقتٌ للتخبير	١٠٢
الفصل ٧ ثمار أو نار	١١٤
الفصل ٨ هلمُّوا تغدَّوا	١٢٤

تصدير

امتيازٌ لي أن أوصي مُطريًا بهذا الكتاب الجديد الذي ألَّفه الدكتور «ريتشارد أ. بَنيت» بعنوان «*نموُّك في الإيمان*». وهو قسيمٌ مُكمِّل لكتابه الذي أصدره بعنوان «*بحثُك عن الله*».

لا يستطيع الإنسان أن يأتيَ إلى الله بغير الإيمان (عبرانيين ١١: ٦)، ولا يستطيع أن يحيا لله بغير الإيمان (رومية ١: ١٧) وكي يكون هذا ممكنًا، ينبغي للإيمان أن يُغذَّى بادئ بدء (رومية ١٠: ١٧) وعلى نحو دائم أيضًا (١بطرس ٢: ٣١؛ عبرانيين ٥: ١٢–١٤). وقد حسم الربُّ يسوع الأمر لمَّا صرَّح قائلاً: **ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله** (متّى ٤: ٤). وقبل ذلك أثبت النبيُّ إرميا هذا المبدأ إذ كتب: **وُجد كلامك فأكلته، فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي؛ لأنّي دُعيت باسمك، يا ربُّ إلهَ الجنود** (**إرميا ١٥: ١٦**).

وفي سبيل المنفعة القصوى، ينبغي للإنسان أن **يُقدِّر قيمة** الغذاء الروحيّ **ويتناوله بنفسه** ثمَّ **يهضمه**. ويُبيِّن لنا الدكتور «بَنيت» كيف تتمُّ هذه العمليَّة في أوقات خلوتنا في حضرة الربّ. والفصل الثامن خصوصًا مفيدٌ جدًّا في هذا المجال.

ففي أيّامنا هذه التي تشيع فيها الفلسفةُ الإنسانيّة الماديَّة، حيث غُسل دماغ المؤمن العاديّ حتَّى بات يعتقد أنَّه يقدر أن يعيش لله بغير **اتّكال**

الإيمان الكلِّيّ على المسيح الساكن فينا بروحه (غلاطية ٢: ٢٠)، يأتي كتابٌ مثل «نموٌّ في الإيمان» رسالةً من السماء إلينا أجمعين. فعسى أن يبارك الله خدمة هذا الكتاب فيما ينطلق لتأدية مهمَّته!

د. ستيفن ف. أُلفورد

مقدّمة

في الواقع أنَّ «نموٌّ في الإيمان» هو القسيم الذي يُكمّل «بحثٌ عن اللّه»، الكتابَ الذي كتبتُه أنا وزوجتي عندما قاربنا ذكرى زواجنا الخامسة والعشرين. فقد أردنا آنذاك أن نعبّر عن شكرنا لله بكتابة ذلك الكتاب وطبعه ونشره مُنطويًا على عرضٍ مفصّل لرسالة الإنجيل.

كانت الطبعة (الإنكليزيّة) الأولى من «بحثٌ عن اللّه» خمسة وعشرين ألف نسخة. ومنذئذٍ استحسن الله أن يبارك قربان محبَّتنا البسيط له بطريقة عجيبة جدًّا.

أمّا اليوم فقد وُزّعت في أنحاء العالم نحو ثلاثة ملايين نسخة من ذلك الكتاب في أكثر من خمسين لغةً، وما يزال طلبه يتضاعف بصورة مدهشة. ومن أعظم أفراحنا أن نسمع شهادات أشخاصٍ ولدوا ثانيةً، في أنحاءَ شتّى من العالم، نتيجةً لقراءتهم ذلك الكتاب.

وفي ما بعد بتنا على وشك الاحتفال بذكرى زواجنا الخامسة والثلاثين! ففي أثناء السنين الوسيطة، انفتحت أبوابٌ كثيرة أمام الإنجيل، وتاليًا أمام توزيع «بحثٌ عن اللّه» بطُرق ما كان ممكنًا أن نتصوَّرها قبل عشر سنين. وعلى ذلك، لم نستطع أن نفكّر بطريقة نعبّر فيها عن محبّتنا وامتناننا الزائدين لأبينا السماوي أفضلَ من طبع «نموٌّ في الإيمان»

ونشره. حتّى إنَّه كما بارك الربُّ «بحثك عن اللّه» عسى أن يبارك أيضًا هذا الكتاب الثاني كي يساعد الكثيرين الذين يحصلون على الحياة الجديدة في المسيح، في أنحاء مختلفة من العالم.

غير أنَّ «نموّك في الإيمان» ليس مجرَّد قسيم يكمِّل «بحثك عن اللّه». إذ نعتقد أنا و«دوروثي» أنَّه – في ذاته وبذاته – سيغدو معوانًا أساسيًّا لكلِّ مؤمن يشتاق إلى شركة مع الربِّ أعمق وأوثق. فقد كُتب مصحوبًا بصلاة صادقة حتّى يَلقى كلُّ من يقرأه عونًا وتشجيعًا خاصَّين في حياته المسيحيّة.

«نموّك في الإيمان» ليس مقصودًا له بالحقيقة أن يُقرأ بطريقة اعتباطيّة. وليس مقصودًا له أيضًا أن يُقرأ ثُمَّ يُلقى جانبًا. فبعد إتمام قراءته بتأنٍّ، ينبغي إبقاؤه في متناوَل اليد كمرجع عمليّ. وإذ نطبّق بأمانة المبادئ التي يشتمل عليها هذا الكتاب، في حياتنا العمليّة، نتعلَّم كيف نحقِّق مسيرةً مع اللّه أكثر ثباتًا وثقة.

كثيرون منّا يرَون من الحكمة أن يخضعوا لفحص طبّيٍّ دَوريّ. وفي سبيل ذلك نُنفق مالاً ووقتًا قصيرًا. ولا بدَّ للتشخيص السليم لأيّة مشكلة صحيّة وعلاجها اللاحق من أن يعتمد إلى حدٍّ بعيد على الأسئلة الأوّليَّة التي يطرحها الطبيب. فمن الحكمة أيضًا للمؤمنين بالمسيح أن يُجروا فحصًا روحيًّا دوريًّا. وكلُّ ما يحتاج إليه هذا الفحص هو الصدق الشفّاف وتخصيصُ بعض الوقت إذ نختلي في ناحية لنكون في حضرة اللّه وحدنا! ففي آخرِ كلِّ فصلٍ من الكتاب، نقترح بعض الأسئلة المفيدة كأساسٍ «فحص نفسٍ روحيّ» تجريه لنفسك شخصيًّا. وقد تسبّب لك بعضُ هذه الأسئلة انزعاجًا. فنرجو أن تتذكّر أنّه في الفحص الصحّيّ

يكون الموضع الذي يؤلمك جسُّه كثيرًا في العادة هو الموضع الذي فيه تكمن المشكلة!

وفي أثناء كتابة هذا الكتاب تذكَّرت حادثةً أخبرني بها صديقي الراحل الدكتور «جاي إدوين أُرّ». فقد قال إنَّ مُتكلِّمًا معروفًا دُعي للانضمام إليه وإلى قادة مسيحيّين مختارين آخرين في اجتماع شامل عُقد خصيصًا بغرض رفع صلوات تشفُّعيّة. غير أنَّ المتكلِّم غير المسمَّى الذي أشار إليه «إدوين» اعتذر بأدبٍ عن تلبية الدعوة، موضحًا أنَّ انشغاله الكثير بالخدمة يحول دون حضوره اجتماعات صلاة متطاولة. وفي الوقت عينه، أضاف إلى رسالة الاعتذار التي كتبها تذييلاً ذكر فيه أنَّ لديه كلمة جيّدة جدًّا عن الصلاة ويسرُّه أن يأتي ويُلقيَها في أيِّ اجتماع مماثل تال، فأنا أعلم في قرارة قلبي حقَّ العلم كم هي الكتابة أو الوعظ عن الصلاة أسهلُ بكثير من الصلاة فعلاً. وعليه، فإنّي أكتب ليس من موقع الاختصاصيّ، بل كشخصٍ جائع يخبر جياعًا آخرين أين يمكنهم العثور على الخبز.

ثمَّ إنَّ زوجتي «دوروثي»، لم تكن فقط خير مشجِّع لي عند كتابتي «نموُّك في الإيمان»، بل الأهم من ذلك أيضًا أنَّها ما انفكّت تحرص دائمًا أن تحافظ على وقت خلوتي في حضرة الربّ وتحثُّني عليها. وكم أذكر جيدًا أنّني قرأتُ إحدى صلوات «سي تي اُصطَدّ»، وهي صلاة صلَّيتُها أيضًا قبل التقائي «دوروثي»، وهذه فحواها: «يا ربّ، إذا كان لديك زوجةٌ لي، فلتكن حديدةً حامية تهمزني لأتابع سيري إذا

أُغريتُ بالاستعفاء!» ويا له من امتياز أن تكون زوجةٌ كهذه من نصيبي. حمدًا لله!

منذ أكثر من خمسين سنة، اقتادني والدي في المسيح، الدكتور «ستيفن ألفورد»، إلى معرفة المخلِّص الوحيد. وكم أشكر الربَّ لأنَّه في ذلك الحين عرَّفني «ستيفن» أيضًا الأهميَّة القصوى للمحافظة على خلوة يوميّة منتظمة أعكف فيها على قراءة الكتاب المقدَّس والصلاة!

إنَّ قسمًا كبيرًا من الأفكار التي أُعبِّر عنها في هذا الكتاب نابعٌ من تأمُّلي الشخصيّ في كلمة الله. وقد التقطتُ حقائق أخرى من تبصُّرات كثيرين من خدَّام الله الأفاضل الذين أنعم الربُّ عليَّ بتعرُّفي بهم. ولئن كان هؤلاء المؤمنون الأمناء، من رجالٍ ونساء، أكثر عددًا من أن أذكرَهم في إطار هذا الكتاب الصغير والعمليّ، فمن أجل كلٍّ منهم أحمد الربَّ وأشكره.

فالآن، بنشر «*نموّك في الإيمان*»، يمكنني بدَوري أن أعمل بالوصيّة التي قدَّمها بولس إلى تيموثاوس، ابنه في الإيمان:

وما سمعتَه منّي، بشهود كثيرين، أودِعه أناسًا أُمناء يكونون أكْفاءً أن يعلِّموا آخرين أيضًا (٢تيموثاوس ٢: ٢).

ومع أنَّ هذا الكتاب قد كُتب لمساعدة المؤمنين على التمتُّع بشركة وثيقة مع الربِّ يسوع، فسوف يَقرأ هذه الصفحات أشخاصٌ لم يعرفوا بعدُ فرحة غفران خطاياهم واليقين العجيب بالحياة الأبديّة. فإن كنتَ واحدًا من هؤلاء، أحثُّك على فتح الكتاب المقدَّس إلى إنجيل يوحنّا.

وهنالك تقرأ السبب الذي من أجله يمكن أن يكون هذا الإنجيل مُعينًا لك بصورة خاصَّة:

وأمّا هذه فقد كُتِبت لتؤمنوا أنَّ يسوع هو المسيح، ابنُ الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياةٌ باسمه (يوحنّا ٢٠: ٣١).

ريتشارد أ. بَنيت

ما أحلى قولك لحنكي، أحلى من العسل لفمي! ...
لأجل ذلك أحببت وصاياك أكثر من الذهب والإبريز!

– المزمور ١١٩: ١٠٣، ١٢٧ –

مسرَّةُ النفسِ اليوميَّةُ

منذ عهد قريب، طلبَت إليَّ امرأةٌ مؤمنة بالمسيح طلبةً حارَّة، قالت: «أرجو أن تصلِّي لأجلي حتَّى تكون لي شركة أوثق مع الرب.» وهي على حقّ! فإنَّ لأيّة علاقة بين شخصين درجاتٍ متفاوتة في الألفة. وهذا الأمر يصحُّ خصوصًا بالنسبة إلى كلِّ مؤمن في علاقته بالربِّ يسوع المسيح. حتّى العلائقُ البشريّة، فإنَّ معيّة الروابط العاطفيَّة فيها لا يمكن أن تتعزَّز إلاَّ حين يصحبها تمازُجٌ في الإرادات، ومشاركةٌ في أساسيّات القِيَم، وتمتُّع بالمصالح المشتركة، وصدق في التواصل الصريح، وتلاقٍ في العقول.

فعلى سبيل المَثَل، تلقَّينا أنا وزوجتي «دوروثي» مؤخَّرًا رسالةً سبَّبت لنا فرحًا عظيمًا، أرسلها إلينا زوجان أفريقيان. وقد جاء فيها: «أمس أتينا بطفلتنا دوروثي من المستشفى إلى البيت. ومثلَ سَميَّتِها، قرَّرت أن تكون دقيقة في مواعيدها. فقد وصلت الطفلة دوروثي بسلامة، ووزنها ثلاثة كيلوغرامات.» ويا له من فرحٍ لا يُعبَّر عنه لهما ولعائلتهما!

ما أسهل التعاطُف مع أبوين فخورين في سعادتهما إذ يحملان برفقٍ طفلهما الحديث الولادة إلى المنزل! ثمَّ تدوم الفرحة إذ ينمو الوليد. فنحن نقهقه مبتهجين حين يحاول الطفل أوَّل مرَّة أن يرفس أو يضحك.

وكم تعجبنا الأباهِم الرقيقة والركبتان المكوّرتان، والخطوة الأولى، ثمَّ اللحظة المؤثِّرة إذ نسمع أوَّل مرَّة الكلمة «بابا» أو «ماما».

يقينًا أنَّ الطفل الجديد، بكلِّ إمكانيّات نموِّه، معجزةٌ تفوق الإدراك البشريّ. وأعجبُ من ذلك بعدُ شخصٌ وُلِد ثانيةً لِتوِّه، إنسانٌ خطا أوَّلَ خطوة في رحلته من الولادة الروحيّة إلى النُضج الروحيّ.

ولكنَّ المؤسف أنَّ الحياة لا تكمل دائمًا مسيرتها من فرحة الولادة إلى اكتمال البلوغ. ففي الأسبوع الذي فيه استلمنا الرسالة التي بشَّرتنا بولادة دوروثي الصغيرة، تلقَّينا أيضًا بأسىً نَعْيَ فتاة في الحادية والعشرين من عمرها، كانت ابنة صديقين قديمين في ولاية أوهايو الأميركيّة. والمؤسف أيضًا أنَّها في سنيها الواحدة والعشرين لم تنمُ قطُّ من طور الولوديَّة، لا عقليًّا ولا جسميًّا ولا اجتماعيًّا. ومع أنَّ أبويها قد سمَّياها بمحبَّة «كارول جوي» (بمعنى أنشودة فرح)، فلمّا ماتت كارول كانت ما تزال طفلةً عُمرها واحد وعشرون عامًا! وكانت إمكانيَّة تحدُّثها إلى والدَيها قد أُعيقت. فمن وجهة نظر بشريّة، أُفسِدت رحلة حياتها بصورة مأساويَّة.

ومثلما لم تنضج «كارول» قطُّ بعد طفولتها، فهكذا أيضًا في الكنيسة اليوم كثيرون جدًّا لا يبدو أنَّهم تجاوزوا مرحلة القُصور الروحيّ. ومع أنَّهم ربَّما يكونون قد تعرَّفوا بالمسيح منذ سنين عديدة، فلم ينموا قطُّ في الربّ نموًّا حقيقيًّا. ولكنَّ الله قد أعدَّ لنا غذاءً روحيًّا، إذا هضمناه على نحوٍ سليم يحفِزُ النموَّ الروحيّ في حياة كلِّ مَن وُلِد ثانية فصار ولدًا من أولادِ الله.

إنَّ الكتاب المقدّس هو المُغذِّي الإلهيُّ الذي يمنع حياتك المسيحيّة أن تتعوَّق روحيًّا. فإذا شئتَ أن تنموَ من فضول الطفولة الروحيّ، إلى ثبات الصِّبا الروحيّ، وأخيرًا إلى نُضج البلوغ الروحي، فلا بدَّ لك من استمداد الغذاء اليوميّ من كلمة الله، أي الكتاب المقدَّس. وقد قصد الله أن تكون قراءة الكتاب المقدَّس أكثر من مجرَّد واجب، إذ أراد لها أن تكون مسرَّة منعشة في حياة كلِّ مؤمن جائع يتناولَ حصّته من الطعام الإلهيّ المُهيّأ.

نعم، إنَّ كلمة الله ستكون بالحقيقة مصدر مسرَّة دائمة ومتعاظمة حين تفهم كيف تهضمها بوصفها غذاءك الروحيَّ الخاصّ.

وبفم النبيِّ إشعياء، يدعو الله دعوةً سخيَّة جميع الجياع والعطاش إلى الطعام الروحيّ كي يتغدَّوا معه إلى مائدته الغنيَّة:

أيُّها العطاش جميعًا، هلمُّوا إلى المياه! والذي ليس له فضَّة، تعالَوا اشتروا وكلوا. هلمُّوا اشتروا، بلا فضَّة وبلا ثمن، خمرًا ولبنًا. لماذا تزِنون فضَّة لغير خبز، وتعبكم لغير شبع؟ استمعوا لي استماعًا، وكلوا الطيّب، ولتتلذَّذ بالدسم أنفسكم. أميلوا آذانكم، وهلمُّوا إليَّ. اسمعوا، فتحيا أنفسكم (إشعياء ٥٥: ١-٣).

لمّا كان كثيرون، على ما يبدو، لا يدركون كيف يستمدُّون غذاء لإيمانهم إذ يقرأون كلمة الله مباشرةً، فإنَّهم يستسهلون أن يقرأوا كُتبًا عن الكتاب المقدّس أكثر من أن يقرأوا الكتاب المقدّس نفسه بالفعل. وهذا الكتاب الذي في يدك الآن ليس مقصودًا به أن يفسِّر لك الكتاب المقدّس، بل المقصود به بالحريِّ أن يشجّعك على قراءة الكتاب المقدَّس بطريقةٍ فيها يفسِّر الكتابُ نفسه بنفسه! ونتيجةً لذلك ستتمتَّع على نحوٍ

متزايد بحياة شركة شفَّافة ووثيقة مع أبيك السماويّ.

وكثيرًا ما قلتُ لمن بدأوا حديثًا قراءة الكتاب المقدَّس غذاءً لإيمانهم:

اقرأ ما تفهمه، وسريعًا قد تصل إلى شيء لا تفهمه. فواصل القراءة. ولن يمضيَ وقتٌ طويل حتَّى تصل إلى ما تفهمه فعلاً. وشيئًا فشيئًا، سوف يساعدك ما تفهمه على أن تفهم ما لم تفهمه!

أيعني هذا لك شيئًا؟ بكلمة أخرى: لا تستسلمْ أبدًا.

في كلِّ مكان من العالم، في غُرَف الصفوف وقاعات المحاضرات والمكتبات، يهضُم الناس معلومات أكاديميّة تزوِّدهم بكثير من «الغذاء الفكريّ» فإن نحنُ بالمثل أقبلْنا على الكتاب المقدَّس كما لو كان مجرَّد مرجع دينيّ، يكوَن كلَّ ما نجنيه منه ذلك تمامًا: غذاءٌ فكريّ! غير أنَّ الكتاب المقدّس بعينه يُنذِرنا قائلاً: **العِلم ينفخ، ولكنَّ المحبَّة تبني (١كورنثوس ٨: ١).**

بلى، ما لم نفهم كيف نهضُم كلمة الله على نحوٍ سليم، فحتّى العلمُ بالحقِّ الكتابيّ يمكن أن ينفخنا بالكبرياء الفكريّة، بدل أن يبنينا في حياتنا الروحيّة. فبدلاً من مجرّد اكتساب العلم في أثناء خلوتنا اليوميّة في حضرة ربّنا، يعوزنا أن نتناول من على مائدة مآدبه طعامًا يمدُّنا بغذاء روحيّ يُنمِّينا في الإيمان.

فعلى نقيض صارخ لأولئك الذين يقرأون الكتاب المقدّس كتمرين أكاديميّ فحسب، نجد مؤمنين فرحين كثيرين اكتشفوا سرَّ قراءة كلمة الله بحيث تصير مصدرًا عمليًّا وحيًّا للغذاء الروحيّ في حياتهم. هؤلاء المؤمنون يختبرون حياة الشركة مع الله كحقيقة واقعة ونامية، كما

تتكشَّف لهم في سياق ذلك طريقُ العبادة الأصلية والخدمة المثمرة. وعند أمثال هؤلاء، لا بدَّ أن تنزاح عبوديّة وعي الذات لتحلَّ محلَّها بَركة وعي الله بحضوره المُحيي.

فالاقتراب إلى الله بثقة وعلى نحوٍ شخصيّ كلَّ يوم، بكتابٍ مقدَّس مفتوح وقلبٍ منفتح، هو الامتياز العجيب لكلِّ ولدٍ من أولاد الله المولودين ثانيةً.

وربّما يكون السؤال الذي يدور في خاطرك: ما هي أفضل طريقة لقراءة الكتاب المقدّس بحيث يُغذّي نفسي ويُمكِّنني من النموّ في محبَّة ربّنا يسوع المسيح وفي معرفته؟ فالسرُّ كامنٌ في ما سندعوه «وقت المعيّة»، وقت الاختلاء بالربّ.

إنَّ وقت المعيّة هو بالحقيقة محادثة ذاتُ اتّجاهين مع ربّنا الحيّ. فالله، من خلال كلمته، أي الكتاب المقدّس، يتكلّم إلى أولاده. وإذ نتجاوب شخصيًا وعلى نحو صحيح مع ما يقوله الله، فسنتعلَّم كيف نصلي صلاةً كتابيّة وبإيمان واثقٍ مُفعَم بالرجاء.

وحينما أتحدّث عن «الصلاة الكتابيّة»، أعني أنّنا نستخدم بالفعل كلمات الكتاب المقدّس التي نقرأها بعينها فيما نتجاوب مع ربِّنا بالصلاة. فأن نصلّي صلاةً كتابيّة هو أن نتمتَّع بيقين متزايد من الصلاة وفقًا لمشيئة الله.

وإذ يُحيي الروح القدس كلمة الله في نظرنا، نستخدم كلمات الكتاب المقدّس تلك بالذات ونُخصِّصها بالاهتمامات التي قد تكونُ

قلوبُنا متثقّلةً بها. والصلاة على هذا المنوال تنقذنا من الصلوات المقولَبة المتكرّرة. وفيما نُصلّي، بديلَ ذلك، صلاةً كتابيّة نتمتّع بشركة مميَّزة مع الربّ إذ نتدرّج في فهمٍ متزايد لاهتماماته ومقاصده الخاصّة في حياتنا.

وليست الصلاة الحقيقيّة إخضاع إرادة الله لإرادتي، بل إخضاع إرادتي لإرادة الله. فبعدما قاد يشوع الشعب قديمًا على نحوٍ معجزيّ لعبور نهر الأردن إبّان فيضانه الربيعيّ، لاقاه «رجُل» لا يَعرفُ هويَّته. وكان يشوع يعلم أنَّ المهمَّة التي انتدبه الله لها في كنعان القديمة تقضي بامتلاك الأرض وتطهيرها من ممارساتها الوثنيّة. لذلك سأل يشوع ذلك الغريب الحامل بيده سيفًا مسلولاً: **هل أنت لنا أو لأعدائنا؟ (يشوع ٥: ١٣)**. فكان الجواب الغريب الذي تلقّاه يشوع «كلا!» وفهم يشوع من هذا الجواب أنَّ الغريب ما كان لينحاز إلى أحد. ثمَّ جاءت بقيّة الكلام لتوضِّح جواب الغريب: **بل أنا رئيس جُند الربّ، الآن أتيت! (يشوع ٥: ١٤)**.

عندئذٍ أدرك يشوع بالصواب أنَّ الغريب، بدلاً من الانحياز إلى أيّ جانبٍ، يوشك أن يتولَّى زمام السيطرة! فسقط يشوع أرضًا على وجهه، علامةً على خضوعه وتسليمه، وقد علم أنّه في حضرة «رئيس جُند الربّ» الذي دعاه إلى التهيُّب قائلاً له: **إخلع نعلك من رِجلك، لأنَّ المكان الذي أنت واقف عليه هو مقدّس (يشوع ٥: ١٥)**.

وبالمثل، ففي أوقات صلواتنا لا ينبغي أن نُحضِر إلى الله جدول أعمالنا الشخصيّ ثمَّ نطلب إليه أن يكون معنا، بل ينبغي لنا

بالأحرى أن ننحني في حضرته المقدَّسة لِنُدَوزِن أنفسنا وفقًا لخُططه ومقاصده وسلطته.

وعليه، فالصلاة على نحو كتابيّ تعني الصلاة المتناغمة مع مقاصد الله ومشيئته. ومن الممكن أن يكون إخضاع إرادتنا هذا لإرادته هو الاختبار المُتنامي لكلِّ واحدٍ منّا، إذ نتعلَّم مناغمة أنفسنا مع كلمة الله كلَّما صلَّينا.

نعم، إنَّك حين تقرأ الكتاب المقدّس بروح الصلاة، وأنت راغبٌ حقًّا في سماع صوت الله، لا بدَّ أن **تنمو في النعمة وفي معرفة ربّنا ومخلِّصنا يسوع المسيح (٢ بطرس ٣: ١٨)**.

وكما سبق أن لاحظنا، فقد أفاد إشعياء أنَّه حين نُميل آذاننا لنسمع فعلاً صوت الله، حينئذٍ نبتهج حقًّا بما يقوله لنا.

فحصُ نفسٍ روحيٌّ

١ منذُ متى صرتُ مسيحيًّا حقيقيًّا بالولادة الجديدة؟

٢ هل سبق أن تمتَّعتُ بشركةٍ مع الله أوثقَ من شركتي معه الآن؟

٣ لدى مقارنة حياتي الآن بما كانت عليه منذ خمس سنين:
هل أقضي وقتًا أكثر في الاختلاء بالله؟
هل أستطيع أن أميِّز على نحوٍ أفضل بين إرشاد الله ورغباتي الخاصّة؟

يا ربّ، علّمني أن أُصغي. إنَّ هذا الزمن مُفعَم بالضجيج، وقد أرهقت أُذنيَّ آلافُ الأصوات الخشنة التي تنقضُّ عليهما باستمرار. أعطني روح الصبيّ صموئيل إذ قال لك: «تكلَّم، يا ربّ، لأنَّ عبدك سامع!» دعْني أسمعك متكلِّمًا في قلبي. دعني أتعوَّد وقْع صوتك، بحيثُ تغدو نغماته مألوفة حين تتلاشى أصواتُ الأرض ويكون الصوت الوحيد موسيقى صوتك المتكلِّم.

آمين!

– ا.أ و. تُوزر –

الرأس والقلب

كان لي ولزوجتي، منذ عدَّة سنين، وفي الجزء الشماليّ من كينيا، امتيازٌ بأن نعلِّم كلمة الله لمجموعةٍ من خدَّام الربّ المحلّيين وزوجاتهم. وفي سبيل الوصول قُبيل السابعة مساء، موعد الاجتماع المسائيّ، كان بعض أولئك الخدّام قد انطلقوا في الرابعة من صباح ذلك اليوم. فإذ حفزهم حفزًا تامًّا شوقُهم الشديد إلى تعلُّم المزيد من الكتاب المقدّس، مشَوا طيلة تلك الرحلة المُضنية تحت الشمس الاستوائيّة السافعة التي كثيرًا ما أنهكت أراضيَهم بالقحط والجوع.

وكم صُدمنا إذ علمنا أنَّ ما بين ستين وسبعين في المئة من أولئك الخدّام المحلّيّين لم يكونوا يملكون نُسخةً من الكتاب المقدّس! ومع أنَّ كثيرين من هؤلاء القادة المكرَّسين كانوا قد اختبروا الإيمان منذ سنتين أو ثلاث فقط، فقد استخدم الله شهاداتهم الناصعة في وسط قومهم لإحياء كثير من الكنائس الصغيرة في الأدغال الأفريقيَّة.

وقد تيسَّر لنا، عند بدء مؤتمرنا، أن نضع نسخةً من الكتاب المقدّس في يد كلِّ واحد من أولئك الخدّام. ثمَّ قمت بخدمات تعليميَّة تواصلت بضعة أيّام. وكان موضوعي الأساسيّ هذا: «الآن، وقد صار في يد كلٍّ منكم كتابٌ مقدَّس، فلن تأتيكم منه أيَّة بركة ما لم ينتقل من يده إلى رأسه!

«ولكنْ حتَّى هذا لن يؤتيكم كامل البركة التي يقصدها لكم الله في هذه الأيام. وإنَّما فقط حين يبدأ الكتاب المقدّس يسكن في قلوبكم، يكون هذا المؤتمر قد صار بركةً دائمة لكم. فمن الواجب أن تتعلّموا كيف تنقلون الكتاب المقدّس من أيديكم إلى رؤسكم، ثمَّ من رؤوسكم إلى قلوبكم.»

منذ عهد قريب زرتُ في بريطانيا البيتَ الذي كنت أسكنه لمَّا تعرّفتُ بالمسيح في آخر سني مراهقتي. وكان على مقربة من ذلك البيت عمودُ مصباح كهربائيّ، تحتَه قَبِلَ المسيح أيضًا صبيٌّ في الرابعة عشرة من عمره، اسمه «بوب فلنت». وقد تغيَّرت حياة بوب كلُّها تغيُّرًا جذريًّا بولادته الثانية. ولأنَّ بوب الفتى كان قد ترك المدرسة وأخذ يشتغل عاملَ بناء في إحدى الوُرَش، فمن المؤكّد أنه لم يكن عالمًا في ذلك الزمن من حياته!

ومع ذلك، فبُعيدَ صيرورة «بوب» مسيحيًّا حقيقيًّا، تمكَّنتُ من إقناعه بقراءة الكتاب المقدَّس قبل انطلاقه إلى العمل كلَّ صباح. وعلى الرغم من افتقار «بوب» إلى أيَّة خلفيَّة كنسيَّة، فقد تعلَّم سريعًا كيف يغذّي حياته الروحيّة من طريق التفاعل شخصيًّا مع كلمة الله في «وقتِ معيَّة» يوميّ.

ومن ثَمَّ فلا عجب أن يكون «بوب»، وهو في السابعة عشرة من عمره، بعدما تسجَّل في مقرَّر لدراسة الكتاب المقدّس بالمراسلة، قد نال علامات ممتازة في درسه لسفر دانيال! وقد تأثَّرتُ كثيرًا في ما بعد إذ سمعت أنَّه ظلَّ على حماسته تجاه الربّ، لمّا التحق بالجيش وهو في الثامنة عشرة. فبالحقيقة أنَّه في أوَّل شهرين له في معسكر التدريب صلَّى شخصيًّا مع كلّ واحد من الجنود السبعة عشر الآخرين في الثُكنة

إذ طلبوا خلاص المسيح. ثمَّ لمّا أنهى «بوب» خدمته العسكريّة، شعر بأنّه مدعوٌّ لمباشرة التدرُّب على الخدمة الإرسالية. ولكنْ بينما كان بالطائرة في آخر مهمَّة له في ألمانيا، تحطَّمت طيّارته العسكريَّة، ودُعي للانطلاق إلى الوطن السماويِّ عند الربّ.

وعلى مقربة من مكان تحطُّم الطائرة، تبعثرت في الريف الألمانيّ كميَّة من النشرات التبشيريَّة التي كانت في حقيبة «بوب» الظهريّة! وبالحقيقة أنَّ كلمة الله كانت قد انتقلت من يد «بوب» إلى رأسه، ثُمَّ من رأسه إلى قلبه، وأخيرًا من قلبه إلى قلوب الآخرين. ولمَّا تُوفّي«بوب» فإنمّا دُعي من علاقة بربّه حيَّةٍ ومحصورة بالأرض إلى شركةٍ أكثر مجدًا وروعةً في حضرة الله!

كثيرون، مثلَ «بوب»، يتوافر لديهم سبيل الإفادة من موارد منهجيّة لدراسة الكتاب المقدّس والتدرُّب الكتابيّ قد تُشجِّعهم في مسيرتهم المسيحيّة. وعلى خلاف أولئك الخدّام الأفريقيين المتشوِّقين، لا يُضطَرُّ معظمنا للسير على الأقدام مدَّة خمس عشرة ساعة تحت شمس الاستواء حتّى يسمعوا كلمة الله إذ تُعلَّم. ولكنْ، نحوّل معرفتنا بالكتاب المقدَّس إلى اختبار قلبيّ.

وأنا شخصيًّا أشكر الربَّ لأنَّه باكرًا في حياتي المسيحيّة بيَّن لي الفرق بين دراسة الكتاب المنهجيّة و«وقت المعيَّة». ولئن كان توظيف الرأس والقلب معًا أمرًا حيويًّا في إقبالنا على كلمة الله، فمن المهمِّ أن ندرك أنّ المعرفة العقليّة بمعزلٍ عن الالتزام القلبيّ لن تؤدّيَ إلى النموِّ الروحيّ.

الرأس

دراسة الكتاب المقدّس: غايتها ومسائلها

اجتهد (دارسًا) أن تُقيم نفسك لله مُزكًّى، عاملاً لا يُخزى، مفصِّلاً كلمة الحقِّ بالاستقامة (٢ تيموثاوس ٢: ١٥). فأن **ندرس** الكتاب المقدّس منهجيًّا، ومن ثمَّ أن نتعرَّف بمضمونه، لَهُوَ بحدِّ ذاته استثمارٌ مُبهِج ولازمٌ للوقت لدى كلِّ مؤمن بالمسيح. وعليه، فمتى أُتيحت لك الفرصة ينبغي أن تستفيد إلى التمام من الخَدمات والتعاليم التي يؤدِّيها أحدُ خدّام الله أو معلِّمي الكتاب المقدّس الأتقياء، واستعن بما تناله يدُك من تفاسير للكتاب، حتّى تُصبِح كلمة الله مألوفةً لديك على الصعيد العقليّ. ومن شأن مثل هذه القاعدة من المعلومات أن تُعينك كثيرًا عندما تختلي في سبيل «وقت المعيَّة» الخاصِّ بك.

وبعد، أفليس الرعاة المعلّمون من جملة المواهب التي وهبها الله لكنيسته؟ فإنَّ خدمة الراعي الجُلَّى هي أن يُعلِّم المؤمنين محتويات أسفار الكتاب المقدّس كلِّها وقرائنها ووقائعها، أصحاحًا أصحاحًا وسِفرًا سفرًا. وفي هذا الإطار، ينبغي للراعي أن يحضَّ جمهور المؤمنين على حياة التقوى والقناعة الداخليّة والاهتمام بخلاص النفوس الهالكة.

وأمامي الآن تسجيلٌ لخمس محاضرات ألقاها واحدٌ من هؤلاء الرعاة الأتقياء. هذه المحاضرات قدَّمها منذ بضع سنين القسّيس «وليم استِلّ» في مؤتمر لطلبة اللاهوت عقدته جمعيَّةُ «إنترفارسِتي». فبعد أكثر من خمس وأربعين سنة من الخدمة في كنيسة واحدة، في «أبِردين»

باسْكُتلندا، كانت خدمته ما تزال حيويَّةً ونابضة كحالها دائمًا. وما من شكٍّ في أنَّ خدمته الرعائيَّة انتشرت بعيدًا خارج نطاق تلك الكنيسة الاسْكُتلنديَّة. فحتَّى في أيامنا هذه، ينتشر حول العالم فعلاً جيشٌ صغير من المؤمنين، وآخرون كثيرون، ممَّن تأثَّروا بوعظه وتعليمه، يخدمون المسيح. وممّا قاله القسّيس «استِلّ» في سياق محاضراته أمام طلبة اللاهوت الذين يُعلِّمهم:

«الراعي مدعوٌّ لإطعام الرعيَّة، حتّى لو كانت الغنم تأبى أن تُطعَم! يقينًا، ليس له أن يصير مُسَلِّيَ معزى. فلتُسلِّ المعزى بعضها بعضًا، ولتفعلْ ذلك في حظائرها! ومن المؤكَّد أنك لا تستطيع أن تُحوِّل المِعزى إلى غَنَم بتغذية شهوانيَّتها الماعزيَّة. إنَّ أكثر واجبات الراعي إثمارًا هو أن يساعد الأغنام المتنافرة من كلِّ نوع على أن تعيش معًا، وأن يُبيِّن لها كيف تعيش في العالم خرافًا وسط المِعزى بغير أن تشابهها في أخلاقها العنزيَّة!»

عندما تختبر الولادة الجديدة، فمن المهمّ جدًّا أن تنخرط في كنيسةٍ يُتاح لك فيها أن تتبارك بمثل هذه الخدمة الرعائيّة الأمينة.

ولكنَّ المؤسف أنَّ بعضًا منكم، يا مَن تقرأون هذا الكتاب، ربّما لا يكون لهم سبيل إلى مثل هذا النوع من التوجيه الراعويّ. على أنَّه حتّى لو كان لك امتيازٌ خاصٌّ بالاستفادة من خدمة راعٍ معلِّم أمين، ولو كان في مُتناوَل يدك أفضلُ التفاسير الكتابيّة، ينبغي لكَ أن تحترس كلَّ حين من الخطر الماثل دائمًا في محاولة السماح لِما تعلّمتَه في رأسك بالحلول محلَّ الغذاء الروحيّ الذي يرغب الله في تزويدك به في «وقت المعيَّة» الذي تقضيه في حضرته يوميًّا.

بلى، ينبغي لنا أن ندرك أنَّه لا المعرفة الكتابيَّة التي نكتسبها من راعٍ معلِّم أمين، ولا أيضًا الفهم الذي نجنيه من دراستنا العقليّة الخاصّة لكلمة الله، يمكن أن يحلاَّ محلَّ الغذاء الروحي الذي يمدُّ به الروح القدس قلوبنا وحياتنا إذ نختلي في حضرة الله خلال «وقت المعيَّة» الخاصِّ ذاك.

وبالطبع، كما أنَّ معلّم الكتاب المقدّس ليس بديلاً من «وقت معيَّة» شخصيّ، فكذلك أيضًا قضاء «وقت المعيّة» الشخصيّ ليس عذرًا لإهمال الفُرَص التي يوفِّرها لنا الله لدراسة كلمته، ولا للإخفاق في الاندماج بخدمةٍ كنيسة تؤمن بالكتاب المقدَّس فعلاً.

ومهما كانت ظروفك، فإنَّ الاقتراحات التالية قد تساعدك على انتهاج أسلوب أكثر نفعًا في دراسة الكتاب المقدَّس بانتظام.

منذ زمن بعيد، اقترح «مايلز كوفردال» الأسئلة التالية كي تُستَخدم لتيسير دراسة مفيدة لكلمة الله. وإليك فحوى ما كتبه:

ستجد عونًا كبيرًا في فهم كلمة الله المقدَّسة، إن اهتممتَ ليس فقط بما هو مكتوبٌ أو مَقول، بل أيضًا بما يلي:

عمَّن يتكلم النصّ؟

إلى مَن وُجِّه النصُّ أصلاً؟

أيَّةَ كلمات معيَّنة يستخدم الكاتب؟

متى كُتب النصّ؟

من أين كُتب النصّ؟

لأيِّ غرض كُتِب النصّ؟

في أي ظرف كُتب النصّ؟
ما موقع النصّ في سياق ما يسبقه وما يلحقه؟

وعندما تتكوَّن لديك عادة الإجابة بصورة طبيعيّة عن أسئلة كهذه في أثناء دراستك المنهجيّة للكتاب المقدَّس (مستخدمًا الطبعة ذات الشواهد والحواشي كلّما أمكن)، فسوف تبتهج جدًّا بِدُرَرِ الحقِّ المتناغمة في الكتاب المقدّس بكامله. وشيئًا فشيئًا «ستخلب لبَّك» بانوراما النبوّة التي ينطوي عليها إعلان الله والتي تمَّت بعض أجزائها فيما ينتظر الباقي إتمامه.

ولسوف تتبارك بركة عظيمة إذ تنفتح عيناك، بصورة مُتزايدة وعجيبة، على إلهك الأزليّ، من حيث مقاصدُه في الخليقة، ومكانته في التاريخ، وتعليمُه المختصُّ بالخلاص، ومجيئُه إلى العالم في شخص الربِّ يسوع المسيح، وتوجيهاتُه الدقيقة للمؤمنين بالمسيح مثلي ومثلك، حتّى هذه الساعةِ بالذات! وبالحقيقة أنَّ معرفةً كهذه للكتاب المقدّس خلاَّبةٌ فعلاً، وينبغي أن يدأب فيها كلُّ مؤمن باجتهادٍ دائم.

القلب

وقت المعيَّة: تقويمه وتنظيمه

يريد الله لكلِّ واحدٍ من خاصَّته أن يتعبَّد له **بالروح والحقّ** (**يوحنّا ٤: ٢٤**). أي **بالقلب والرأس** معًا، إذ يتَّحد كلاهما متناغِمَين في شركة شخصيّة مع الله.

فإذا أنتجت لك دراستك النظاميَّة للكتاب المقدّس مجرَّد معرفة موضوعيَّة للكلمة، فما أقلَّ النفع الذي تجنيه من هذه المعرفة! وفي الواقع أنَّ المعرفة العقليّة بغير التطبيق العمليِّ الصادق في الحياة هي مشكلة كبيرة لدى كثيرين من المؤمنين اليوم.

إنَّ كثيرين – واأسفاه! – يعرفون مقدارًا كبيرًا من مادَّة كلمة الله، غير أنَّهم لا يعيشون في ضوء معرفتهم الوافرة. بل إنَّهم بدلاً من ذلك يُقفلون على معرفتهم بالكتاب المقدّس في أغوار عقولهم، وينتهجون بغباوة طُرق العالم الباطلة. ويا لها من مأساة، إذ إنَّ كلمة الله لا توافق أبدًا الفكرَ العصريَّ وأنماط الحياة السائدة!

فالإقبال على كلمة الله بعقليَّة العالم الحاضر، ثُمَّ محاولةُ التوفيق بين كلام الوحي والفلسفة أو علم النفس اللذين ينتميان إلى حضارة إنسانيّة ماديَّة، ما هما إلاَّ انتهاكٌ لكلِّ مبدإٍ من مبادئ استقامة الفكر وسلامة الأخلاق. لقد دفع الربُّ يسوع المسيح ثمنًا باهظًا لإنقاذنا من هذا العالم الحاضر الشرّير، كما أنَّ كلمة الربَّ تتعارض يقينًا مع الأنماط الفكريّة الشائعة في جيلٍ رافض للمسيح.

وما دامت كلمة الله لا تتوافق البتّة مع حضارة إنسانيّة كافرة، فعندما ندرس الكتاب المقدَّس ولنا الشوقُ الأسمى لأن نصير ما يريد لنا الله أن نكونه، فسوف يكون ذلك بالحقيقة اختبارًا ثوريًّا يُغيِّر صورة حياتنا! هذا الاستغراق القلبيُّ، لا مجرَّد المعرفة العقليَّة، هو ما يطلبه الله من كلِّ واحدٍ من أولاده.

لم يقُل المرنِّم المُلهَم: «خَبَّأتُ كلامك في رأسي...» بل قال حقًّا: **خَبَّأتُ كلامك في قلبي، لكيلا أُخطئ إليك (مزمور ١١٩: ١١)**. حتَّى «أدولف هتلر»، في خطبه الحماسيَّة العلنيّة، اقتبس أحيانًا بعضَ آياتٍ من الكتاب المقدّس، ولكنَّ معرفته هذه لآياتٍ معيَّنة من الكتاب لم تُجدِه أيَّ نفع في خياراته الخُلقيَّة ولا في مصيره الأبدي! فمن البديهيِّ أنَّ معرفته لم تخترق شغاف قلبه قطّ.

ولكنْ قد تسأل: «ماذا عن داود لمّا قال إنّه خبَّأ كلام الله في قلبه؟» يقينًا أنَّه لم يكن يتكلّم عن ذلك العضو العضليّ المجوَّف الذي يضخُّ الدم من أوردته إلى شرايينه. فباستعمال داود للكلمة «قلب»، أشار إلى مركز ذاته الداخليّة الموجّهة لسلوكه. وعليه، فإذ نقرأ الكتاب المقدّس لنُخبئ كلام الله في لبِّ كياننا، يُتاح لنا بقوَّة المسيح الساكن فينا أن نتمتَّع كلَّ حين بحيويَّة كلمة الله المطهِّرة والمقوِّية والمغذِّية.

لمّا حظيتُ بامتياز دراسة الكتاب المقدّس وعلم اللاهوت، طالبًا بدوام كامل، تعلَّمت تكديس الحقِّ الكتابيّ بدلاً من الاختلاء في حضرة الله لسَماع ما يودُّ أن يقوله لي من خلال كلمته المقدَّسة. كما تبيَّن لي أيضًا أنَّ اعتلاء كرسيِّ الحُكم على كلمة الله أيسر من السماح لكلمة الله بأن تعتلي كرسيَّ الحكم عليَّ.

وفي أيّام الدراسة تلك بالكلِّيَّة، كان من دأبنا أن نضحك كلَّما تذكّرنا تعريفنا الساخر للمحاضرة التي تُلقى في غرفة الدرس. فقد كنّا نقول: «إنَّ المحاضرة هي الوسيلة التي بها تنتقل المواد الدراسيّة من دفتر الأستاذ إلى دفتر الطالب دون أن تمرَّ برأسِ أيٍّ منهما!»

على أنَّ ما هو أكثر مأساويَّةً من هذا بعدُ هو الوضعُ الذي فيه يجتاز تعليم الكتاب المقدَّس من خلال رأس الراعي إلى رؤوس جمهور المؤمنين بغير أن تحرِّك قلبَ أيٍّ منهما. ولا بدَّ أن تذكر أنَّ الله قال بصريح العبارة:

لكنْ لم تنفع كلمة الخبر أولئك، إذ لم تكن ممتزجة بالإيمان في الذين سمعوا (عبرانيين ٤: ٢).

فحينما يتسنّى لنا أن نقف في صفِّ النبيِّ إرميا عند تقديمه شهادته، حينئذ فقط تأتي كلمةُ الله ببركتها المقصودة إلى حياتنا. ذلك أنَّ النبيَّ إرميا شهدَ قائلاً: **كان** (كلام الربّ) **في قلبي كنار مُحرِقة محصورة في عظامي**... **(إرميا ٢٠: ٩)**. إنّما تفتقر حياة الكثيرين من المؤمنين اليوم إلى مثل هذا الاقتناع المتوقِّد بكلمة الله، ممّا يدعو إلى الأسف والأسى. فهم لا يُقيمون وصْلاً حقيقيًا بين الرأس والقلب، أي بين صوت الله وحياة المؤمن. ومن جرّاء ذلك، يكثر جدًّا أن يكون الترابُط واهيًا للغاية بين ما نعلمه وما نعمله.

وعندما يُحرّك تعليم الكتاب المقدّس قلبك حقًّا، فمن المؤكَّد جدًّا أن يُغيّر حياتك! وفيما يجري ذلك، تجد أنّك تصير على نحوٍ متزايد أقلَّ اعتمادًا على وسائل الدعم البشريَّة، مثل المُرشدين العائليّين وحلقات الدراسة المُعدَّة بإتقان، إذ تكون قد اكتشفتَ كيف قصد الله لك أن تخصِّص لنفسك شخصيًّا الوعودَ التي قطعها لك في كلمته المقدّسة. ومن ثَمَ، فبقوَّة الروح القدس الساكن فيك، تتمكَّن من إطاعة الوصايا الجليَّة التي أوصى بها الربُّ يسوع المسيح.

يحصل أحيانًا أنَّه بعد فراغي من الوعظ يتقدَّم إليَّ فردٌ لطيف من أفراد الجماعة ويقول لي بقصد تشجيعي: «لقد أعطيتني بالتأكيد شيئًا أُفكِّر فيه.» فإذا سمعتُ ذلك، أعلم أنَّ العظة لم تُحقِّق بالفعل الغاية التي رجوتُها منها. وفي الواقع أنَّ الفرق الشاسع بين توجيه الإطراء إلى كلمة الله باعتبارها حافزًا عقليًّا وبين تطبيقها عمليًّا على أنَّها حقٌّ مُغيّر للحياة. فمن الواجب حقًّا أن تُعطي العظات الناس شيئًا يتصرّفون بمقتضاه، لا مجرَّد شيء يُفكِّرون فيه!

وبالمِثل، إذا كان «وقتُ المعيَّة» لا يُفضي إلى استجابة إيمانٍ عمليَّة وإلى الطاعة، أو إلى إحداهما، أو إلى الاعتراف بالخطيَّة، أو إلى موقف تعبُّد، فإنَّه لا يكون «وقت معيَّة» مُثمرًا!

ومقابل ذلك، عندما يمتلئ رأسُ أيِّ ولد من أولاد الله بمعرفة كلمة الله، ويَخفق قلبُه مستجيبًا لتحرُّك الروح القدس الرقيق، فإنَّه سيتمتَّع حقًّا بشركة حيَّة مع المخلِّص. وما زلتُ حتّى اليوم، حين أزور معاهد الكتاب المقدَّس ضيفًا محاضِرًا، أقولُ للطَلبة الحاضرين:

لستُم هنا كي تدرسوا الكتاب المقدّس فقط حتَّى تتعرَّفوا بالكتاب! إنّكم هنا كي تدرسوا الكتاب المقدَّس حتَّى تتعرَّفوا بإله الكتاب!

إنَّ عدم النضج الروحيّ بين المؤمنين شهادةٌ صامتة للعجز المقترن ببضع عبارات مُلتَقطة من الكتاب المقدّس وبضع مخطَّطات كتابيَّة معلَّبة بإتقان. فأيُّ شيء تدعه يحلُّ محلَّ الاختبار الفريد المتمثِّل بالاختلاء في حضرة الله، وكتابُك المقدَّس مفتوح أمامك، سيُقلِّص – بل ربَّما يُفسِد أيضًا – شركتك الشخصيّة الوثيقة مع الله.

فالشركة الحقيقيَّة مع الربّ لا تتمُّ إلاّ حين يتعرَّض المؤمن للنُّور الشفّاف المشعِّ في حضرة الله المقدَّسة. هذا النور كشّافٌ جدًّا، ويقتضي الصدق والاستقامة والصراحة المُقترِنين بالتواصُل المنفتح بينك وبين الآب السماويّ. فإذا كان قلبُك، عندما تقرأ كلمته المقدَّسة، يستجيب بالطاعة لحقِّه، يصير ذلك الحقُّ غذاءً لنفسك، وتنمو في معرفة ربِّك وفي حكمته. وقد شهد ناظم المزامير قائلاً: **بنورك نرى نورًا (المزمور ٣٦: ٩)**. وما زال القول المأثور القديم يصدق أيَّ صدق:

النور المُطاع يجلب نورًا أعظم،

والنور المَعصيُّ يجلب ظلامًا أحلك!

وأنا على يقين بأنّك قد خَبرتَ، شأنُك شأني، أنَّ تقديمك المشورة إلى شخص آخرَ أسهلُ من أن تعمل أنت بمشورتك. غير أنَّ الربَّ يسوع، ذاك الذي يصفه إشعياء بكونه **عجيبًا مُشيرًا (إشعياء ٩: ٦)**، هو فريدٌ في ذاته، لأنَّه لا يتوقَّف عند إعطائنا المشورة، بل يصير أيضًا مَن يُعطينا القدرة على العمل بتلك المشورة.

فكلَّ صباح، يُمكن أن يؤدّيَ وقت معيَّتك الخاصُّ دورًا حيويًّا في إعدادك لِما ينتظرك في أثناء النهار. فإذا زوَّدك الله بمشورته، من خلال قراءتِك لكلمته، يمكنك أن تتيقَّن بأنَّ الربَّ يسوع سيكون هو أيضًا كافيَك وهاديَكَ الساكنَ فيك لمواجهة كلِّ حالٍ تأتيك.

فحصُ نفسٍ روحيٌّ

١ أيستجيب قلبي بمثل الطواعية التي يستجيبُ بها عقلي حين أقرأ الكتاب المقدَّس؟

٢ حين أُصلّي هل أختبر حقًّا تواصُلاً ذا اتّجاهين مع الله؟

٣ في حياتي الروحيَّة: أألتمس أوَّلاً المشورة من الإنسان أم من الله (من خلال كلمته المقدّسة)؟
(تحذير: لم ينتظروا مشورته... المزمور ١٠٦: ١٣)

٤ في خدمتي المسيحيَّة: هل تصدر مشورتي إلى الآخرين من قلبٍ مضطرم بمحبَّة الله وذهنٍ مملوء بكلمته؟
(تحذير: عصَوه بمشورتهم... المزمور ١٠٦: ٤٣)

خطايا مثل هذه
بخطايا لا تُحصَى أعترفُ،
بخطايا خاطئةٍ جدًّا:
همومٌ دنيويَّة في وقت العبادة؛
أهدافٌ أنانيّة في الخدمة السامية؛
كبرياء، فيما الله مجتاز؛
كسل، فيما النفوس تموت في الظلام!
قد ذقتُ أنَّ الربَّ صالح،
ثمَّ تقتُ إلى أطعمة مسمومة.
وعند يَنبوع الحياة من العُلى،
اشتهيتُ موارد البشر الدنيَّة.
خطايا مثل هذه تُغوي قلبي،
وأنت العليم بهنَّ تحزنُ!
بأيِّ استخفافٍ قد نِمتُ
وعلى أخطاء نهاري ما بكيتُ،
ثُمَّ قمتُ من جديدٍ إلى مهامّي المقدَّسة،
وما يزال مكمن الداء في جسدي.
رغمَ ذلك عزاؤك لم يَخِب،
ولَمْسَتُك الشافية مُتاحةٌ لي بعد.
فانظُر، يا ربُّ، حزني ولهفتي إليك،
ومُنَّ عليَّ برحمتك!
أيُّها الآبُ، اغفرْ لي باسْمِ ابنك الحبيب،
خطاياي التي بها أخطأتُ إلى روحك!
– وليم ماكلاردي بَنطنغ –
(١٨٠٥–١٨٦٦)

إعداد النفس بروح الصلاة

لمّا اهتديتُ إلى الإيمان، كانت معرفتي بالكتاب المقدَّس ضحلةً جدًّا. ولكنْ ما لبثتُ أن أدركتُ أنَّني وأنا أقلّب صفحات الكتاب كنتُ بالحقيقة أقرأ كلمة الله. وما زلتُ حتّى هذا اليوم أبتهج بأن أعيَ أنَّ الربَّ يسوع ما يزال يتكلَّم إلى قلبي حين أقرأ كلمته.

حتَّى إنَّني في حداثة إيماني عُلِّمتُ أنَّ الروح القدس، عندما أفتح كتابي المقدَّس، يرغب أن يجعله حيًّا لقلبي. وهكذا كنتُ كثيرًا ما أبدأ وقت المعيَّة الذي أقضيه يوميًّا في حضرة الربّ بصلاةٍ قصيرة تعلَّمتُها كقرار:

ليكُن روحُ الله معلِّمي،
مُظهِرًا أمور المسيح لي،
واضعًا في يدي المفتاحَ العجيب،
ذاك الذي يجلو الأسرار ويُحرِّرني!

قبل أن يفارق الربُّ يسوع المسيح تلاميذه ليرجع إلى أبيه في السماء، وعد قائلاً: **وأمّا متى جاء ذاك، روح الحقّ، فهو يرشدكم إلى جميع الحقّ (يوحنّا ١٦: ١٣)**. فأساسًا، لا يوجد إلاَّ معلِّم واحد، هو الروح القدس.

فإذا لم تكن للروح القدس حريَّة العمل في حياتنا، تبقى قراءتنا لكلمة الله سطحيّة وفارغة.

وقد عرف «جان وسلي» أيضًا قيمة وقت المعيَّة الخاص به. ومعلومٌ أنَّ الله استخدمه بقوَّة في النهضة التي حصلت في بريطانيا خلال القرن الثامن عشر، والتي يعزو إليها مؤرِّخون كثيرون فضل إنقاذ انكلترا من الثورة. وقد تعلَّم بحكمة درسًا نفعل حسنًا إذا جاريناه فيه. ذلك أنَّه درَّب نفسه على الإواء إلى الفراش باكرًا في المساء حتَّى يستطيع أن ينهض باكرًا في الصباح. ومنذ عهد قريب، جثوتُ وحيدًا وصلَّيتُ على مسند الصلاة الذي عليه كان وسلي يُقابل ربَّه في الرابعة صباحًا! وفي تلك الغرفة بالذات، تأثَّرتُ كثيرًا إذ قرأتُ الاقتباس التالي من مُفكّرته: «أجلس وحيدًا... الله وحده هنا. وفي حضرته أفتح وأقرأ كتابه. وما أقرأه أُعلِّمه.»

وفي سبيل تشجيع المؤمنين المولودين ثانيةً، أكَّد لهم الرسول يوحنَّا كفاية الروح القدس للتأثير في قلوبهم بكلمة الله، حتَّى لو لم يكن عندهم أشخاصٌ آخرون يُعينونهم على فهم كلام الوحي. فإليهم كتب قائلاً: **وأمَّا أنتم، فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتةٌ فيكم، ولا حاجة بكم إلى أن يُعلِّمكم أحد** [أي معلِّم نصَّب نفسه بنفسه]، **بل كما تعلّمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء، وهي حقٌّ وليست كذبًا، كما علّمتْكم تثبتون فيه (١يوحنّا ٢: ٢٧).** فعندما تتّكل بوعيٍ على إنارة الروح القدس وأنت تقرأ كتاب الله، يجعل حقَّ الكتاب حيًّا لقلبك.

فإن كنت ترغب حقًّا في أن يكون لديك وقتُ معيَّة غنيٌّ ومُغن، فالتمس مكانًا هادئًا وحدِّد وقتًا ثابتًا كي تفتح كتابك المقدَّس وتتواصل مع الله. ومع أنَّ مُراعاة مثل هذه الأوقات في حضرة الله سيُشيع في قلبك أغلبَ الأحيان ترقُّبًا بهيجًا، فلا بدَّ أن تأتي عليك أيضًا أيَّامٌ فيها تسترعي انتباهَك

شؤونُ عائلتك أو مهنتك أو اهتماماتك الأخرى، فتنشغل بها ويصعُب عليك أن تنكفئ كي تختلي بالله. فمثل هذه الأيّام تقتضي منك انضباطًا صارمًا إن شئتَ أن تنمو في محبَّة الربِّ يسوع المسيح وفي معرفته. ولا تنسَ أنَّ إهمال الكتاب المقدَّس غير نافعٍ تمامًا كعدم وجوده.

ومثلما كان على بني اسرائيل قديمًا أن يقوموا باستعدادات يوميّة لجمع المنّ الذي دبَّره لهم الله من السماء قوتًا لأجسادهم في طريقهم إلى أرض الآباء فكذلك ينبغي لنا نحن أيضًا أن نُعدَّ أنفسنا لتناوُل كلمة الله.

فأوَّلاً، ربَّما كان من المفيد لك أن تحنيَ ركبتيك جاثيًا عندما تفتح كتابك المقدَّس لتختليَ بالله.

وثانيًا، عندما تقترب إلى ذاك الذي هو النورُ الأزلي، ينبغي لك دائمًا أن تكشف قلبك في حضرته المقدَّسة. ليس في وسعك أن تُخفي عنه شيئًا، فلماذا تحاول ذلك؟

وما إن تُعدّ نفسك لِلقاء الله، حتَّى يغدو الكتاب المقدَّس نابضًا بالحياة على نَحوٍ واقعيٍّ متوهِّج، وتكتشف شيئًا فشيئًا كيف تنتقل كلمة الله من رأسك إلى قلبك.

إحنِ رُكبتَيك

الشركة الحيَّة لا يمكن أن تتعايش مع الروح المتكبِّرة. نقرأ في الكتاب المقدَّس عن كثيرين من الأتقياء الذين عبَّروا عن توقيرهم وخضوعهم لله باتّخاذ وضعيّة الركوع. ولئن كان كثيرون من أتْباع

مختلف الديانات يتَّخذون وضعيَّة الركوع عند تأدية صلواتهم علنًا، فإنَّ عادة الجُثُوِّ هذه لا تدلُّ بالضرورة على وجود شركة حيَّة مع الله. ولكنْ حين نقترب إلى الإله والخالق السرمديّ فعلاً، يمكن لتوجُّه عقولنا وقلوبنا أن يلقى عونًا كبيرًا إن نحنُ جَثَونا أمامه.

لمّا كان الربُّ يسوع المسيح في بستان جثسيماني قُبَيل ساعة صلبه الرهيبة، رأى تلاميذَه يُغالِبهم النُعاس. وبعدما ابتعد عنهم مسافةً، **جثا على ركبتيه وصلَّى (لوقا ٢٢: ٤١)**. هنالك كان يسوع وحده مع أبيه، وركع كي يُصلّي. وبالمِثل، حين ننفصل عن عائلتنا وأصدقائنا للاختلاء في حضرة الله، فقد نجد نحن أيضًا ما ينفعنا في التعبير عن توقيرنا له والخضوع لمشيئته بالركوع عند الصلاة.

ولمّا قارب الرسول بولس نهاية خدمته العلنيّة، تعمَّد توديع الكنيسة التي أسّسها في أفسُس وداعًا رقيقًا. إذ نقرأ كيف **جثا على ركبتيه مع جميعهم وصلّى (أعمال ٢٠: ٣٦)**. وعند شاطئ البحر مرَّةً أُخرى، ودَّع بولس المؤمنين مع نسائهم وأولادهم، حيثُ قال كاتِب السِفر المقدّس: **جَثَونا على رُكَبنا على الشاطئ وصلّينا (أعمال ٢١: ٥)**. ربَّما يظنُّ كثيرون اليوم أن مشهد ركوع النساء والأولاد للصلاة في مكان عامّ قد يُسيء المتفرِّجون تفسيره. وفي أيّامنا التي فيها نخشى أن نُتَّهم بالتطرُّف، قد نؤْثِر نحن أيضًا الجلوسَ باسترخاء في اجتماع صلاة خاصّ. ولكن من الواضح جليًّا أنَّ تلاميذ المسيح مع نسائهم وأولادهم، في أيّام الرسول بولس، لم يجدوا أيَّ إشكال في الركوع. ويجدر بنا نحن أيضًا أن نحذو حذوهم، أفي اجتماع الصلاة العامّ أم في خلوتنا أمام الله.

إنَّما ينبغي أن نتذكَّر أنَّ أهمَّ شيءٍ بشأن ممارسة شركتنا الخاصَّة مع الله هو وضْع أذهاننا، سواءٌ وقفنا أو ركعنا أو قعدنا أو تمشَّينا ونحن نُصلّي. نعم، حين نُصلّي، يقول لنا الكتاب المقدّس أن نعتمد التوجُّه الذهنيَّ الصحيح، وذلك لأنَّه **يقاوم الله المستكبرين، وأمّا المتواضعون فيُعطيهم نعمة. فاخضعوا لله. قاوموا إبليس فيهرب منكم. إقتربوا إلى الله فيقترب إليكم (يعقوب ٤: ٦-٨).**

وبسبب بعض المشاكل الصحيّة، قد يستحيل على بعض الناس أن يظلُّوا راكعين مدَّةً طويلة في أثناء الصلاة. إلاَّ أنَّ ما يسعدنا هو أنَّ الله يرى كلَّ قلب من قلوبنا جميعًا. ومن المؤكَّد أنَّ توجّه قلوبنا هو في نظره أهمُّ من وضعيَّتنا عند الصلاة. ولكنْ لِمَن كان قادرًا، يمكن أن يكون الركوع طريقة مفيدة جدًّا لصقل مفهومنا للحقيقة الماثلة في أنَّنا حين نُصلِّي نحظى بامتيازٍ جليل في مخاطبة خالقنا كما يخاطب الصديق صديقه الموقَّر! فالوصيَّة الكتابيَّة الكليَّة الأهميَّة بالنسبة إلينا أجمعين هي: **اتَّضعوا قدّام الربّ**؛ وإذ نستجيب لهذا الطلب، يُردِف الله وعدًا عجيبًا: **فيرفعكم (يعقوب ٤: ١٠).**

إكشفْ قلبك

الشركة الحيَّة مع الله تنطلق دائمًا عند كُرسيِّ الرحمة الإلهيّ، أي بِلُغة العهد الجديد: عند الصليب الذي عليه مات المسيح!

حتَّى قبْلَ موت الربِّ يسوع على الصليب، اختار الله، في عظيمِ

رحمته ومحبَّته، أن يقبل موت ابنه البريء كفّارةً عن الخطيَّة بحيث يُتاح للجنس البشريِّ العاصي أن يجدِّد شركته معه تعالى. وعليه، فقبْل صَلب مخلِّصنا الكريم بزمانٍ طويل، أعلن الله أنَّه سيُلاقي أولاده عند كرسيِّ الرحمة: **وأنا أجتمع بك هناك وأتكلَّم معك من على الغطاء** (كرسيّ الرحمة) **(خروج ٢٥: ٢٢)**.

واليوم باتت الذبيحة التي قُدِّمت عن خطيّتنا في ذمَّة التاريخ، وقد سُفك دمُ الربِّ يسوعَ الثمينُ من أجلنا. وهكذا، فبواسطة موت المسيح دُبِّر لنا طريق حيٌّ جديد للتواصُل مع الله. فإنَّ محبَّته الفائقةَ التصوُّر تُمكِّننا من أن نهتف بفرح: **لنتقدَّم بثقة إلى عرش النعمة، لكي ننال رحمة ونجد نعمة عونًا في حينه (عبرانيين ٤: ١٦)**.

إنَّ الرحمة تعني أنَّ الله لا يُعطينا ما نستحقُّه. امَّا النعمة فتعني أنَّ الله يُعطينا ما لا نستحقُّه. فما أروع أن نسير في شركة مع إلهنا، إله الرحمة والنعمة!

من كلِّ ريحٍ عاصفةٍ تهبُّ،
وكلِّ موجةٍ ويلٍ عاتية،
ثمَّة ملجأٌ هادئٌ أمين
أجده قربَ كرسيّ الرحمة!
ثمَّة مكانٌ فيه المسيح يسكب
دُهنَ البهجة على رؤوسنا،
مكانٌ لقلبي ما أحلاهُ،
إنَّه كرسيُّ الرحمة المُشتَرى بالدم!
ثمَّة موضعٌ فيه تمتزج الأرواح،

حيثُ الصديقُ يتمتَّع بالشركة مع أسمى صديق،
يتلاقيان رُغم بُعد المسافات
حول كُرسيّ الرحمة المشترَك!
تُرى، أين نُهرَع طلبًا للعون
عند معاناة التجارب والوحشة والخيبة،
بل كيف نهزم جيش جهنَّم،
لو لم يكن للقدّيسين كرسيٌّ رحمة؟
هنالك نُحلِّق على أجنحة النسور،
ويبدو الوقت والحسُّ كأنَّهما تلاشَيا،
وتهبط السماءُ مرحّبةً بنفوسنا،
هنالك... حيث المجدُ يكلِّلُ كرسيَّ الرحمة!
هـ. ستُولِّ

الشركة الحيّة لا يمكن أن تتواجد مع الضمير غير النقيّ.

إنَّ الصبيَّ الذي يولد في عائلةٍ ما يظلُّ ابنَ أبويه دائمًا أبدًا. فلا يمكن أبدًا أن يصير «غير مولود!» ولكنْ إذا كان ذلك الولد سيّء السلوك، تأتي أوقات فيها ينفصم التواصُل الحُرّ بينه وبين والديَه. إنَّ العلاقة تبقى، أمَا الشركة فتنقطع حتمًا! وتلك مأساةٌ رهيبة.

وما أروع أن تغمرنا معرفتُنا بأنَّه لحظةَ وُلدنا ثانيةً أُنشئت بيننا وبين أبينا السماويِّ علاقةٌ أبديّة! فإن كنَّا قد قبلنا الربَّ يسوع المسيح بصدقٍ وإخلاص في داخل قلوبنا، فإنَّنا قد أصبحنا أولاد الله، في علاقةٍ

ستبقى قائمة إلى الأبد. ولكنْ حين نُخطئ، تنقطع شركتنا مع أبينا انقطاعًا مؤسفًا.

فمن جرّاء عصياننا، لا نعود نحسُّ البركة المعتادة التي طالما تمتَّعنا بها إذ نعمنا ببسمته حيال حياتنا. وانقطاع الشركة الشفّافة هذا، سواءٌ قصرت مدَّته أو طالت، لا يمكن يقينًا أن يُنسَب إلى الله ولا إلى قلّة اهتمامٍ من جانبه. فالصدع يعود دائمًا إلى ضميرنا المدنَّس. ونحن السببُ الوحيد لأيِّ انقطاع في شركتنا مع الله.

ضميرٌ غير نقيّ: قال «جان بَنيان» مرَّة: «الخطيَّة تُبعِدني عن الكتاب المقدَّس، والكتاب المقدَّس يبعدني عن الخطيَّة.» فإذا أحزن شخصٌ ما الروح القدس، واحتضن الخطيَّة في حياته على علمٍ منه، يفقد أيضًا شهيَّته إلى كلمة الله. والضمير النقيُّ ضرورةٌ حتميَّة للمؤمن حتَّى يحوز إيمانًا حيًّا وواثقًا عندما يُقبِل على كلمة الله. فالكتاب يقول: **ولكنْ بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه، لأنّه يجب أنَّ الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنَّه موجود وأنَّه يجازي الذين يطلبونه (عبرانيين ١١: ٦).**

أمّا إذا أصررْنا على تجاهل خطيَّتنا، فحينما نقرأ الكتاب المقدّس يفتر إيماننا لأنَّ ضميرنا لا يعود في وضعٍ يمكِّنه من سماع صوت الروح القدس.

ضمير نقيّ: لتجديد شركتنا مع الله بعد وقوعنا في خطيَّة ما، من الضروري أن يُنقَّى ضميرنا الشاعر بالذنْب والمُثقَل بالخطيَّة. فلكي يتخلَّص المؤمن الذي تلوَّث ضميره من عبء الشعور بالذنب هذا، يجب عليه أن يكشف قلبه في الاعتراف بخطيَّته أمام الله أبيه. فقد كتب

الرسول يوحنّا قائلاً:

إن اعترفنا بخطايانا، فهو أمين وعادل حتّى يغفر لنا خطايانا ويطهِّرنا من كل إثم (١يوحنّا ١: ٩).

على تلك الصفحة من كتابي المقدَّس، دوَّنتُ صلاةً صلاَّها «ف. و. كرُمّاخَر». فعندما أعي فشلي وخطيَّتي، أحاول أن أُسمِّي تلك الخطايا المحدَّدة أمام كرسيِّ الرحمة الإلهيّ. ومِن ثَمَّ أُصلّي أحيانًا صلاة «كرُمّاخَر» كأساسٍ لاعترافي الشخصيِّ الخاصّ أمام الربّ:

أيُّها الربُّ إلهي، لقد أخطأتُ إليك من جديد، وأنا حزينٌ بسبب ذلك. إنَّني أحكم على نفسي وأدينُها. ولكنَّ رحمتك عظيمة، وبها أنا اثق. رُشَّ ضميري بدم الكفّارة، وقدِّرْني بالإيمان على أن أنسب إلى خطيَّتي هذه آلامك التي احتملتَها عنّي. آمين!

نحن لا نرتكب خطايانا بالجملة، فلماذا نحاول أن نعترف بها في إقرارٍ عامٍّ واحد بالذّنْب؟ فأن نطلب من الله أن يغفر لنا «جميع خطايانا» في مجموعٍ واحد يغلبُ أن يكون محاولةً لإيجاد مخرجٍ سهلٍ لقلوبنا المتكبِّرة أكثر من كونه تعبيرًا عن التوبة والرغبة في العودة إلى دائرة مشيئة الله. وقلَّما ينفع هذا النوعُ من الاعتراف الإجماليّ في تطهير الضمير فعلاً من ذنْبه. فعندما يستحضر الروح القدس إلى أذهاننا أيَّ أمر نعلم أنَّه خطيَّة، ينبغي لنا أن نسمّي فعل العصيان ذاك بالاسم الذي يستخدمه الكتاب المقدَّس لوصف خطيَّة كهذه: لا كذبة بيضاء، بل كذبًا؛ لا جموحَ خيال، بل فسادَ ذهن؛ لا كلمةً متسرِّعة، بل قلبًا مشحونًا بالبغضة القتَّالة.

ولأنَّ مشكلتنا هي الذنْب الحقيقيّ، وليس مجرَّد عقدة ذنْب، فيجب

ألاَّ نقول أبدًا أيَّ كلامْ سيكولوجيٍّ ذي وجهين، وألاَّ ننتحل أيَّة اعذارٍ بشريَّة، حين نُقبِل إلى نور حضرة الله. فعندما تُسمِّي خطيَّتك أمام الله باتّضاعٍ واستقامة، يستجيب الله لاعترافك في رحمته الواسعة. تلك هي نعمة الله العجيبة!

بعدما اعترف داود بخطيَّته الرهيبة، أبهجه أن يتفكَّر في غنى الله بالرحمة والرأفة، إذ قال: **إرحمني... حسب رحمتك، حسب كثرة رأفتك (المزمور ٥١: ١)**. ونقرأ في صفحة الوحي، المزمور الحادي والخمسين، أنَّه لمَّا التفت داود إلى الله، فإنَّ هذا الرجل المنكسر والمنسحق القلب لم يكن فقط صادقًا في اعترافه بل كان أيضًا مُخلِصًا في توبته. فإنْ أنت تُبت (أي أدركتَ أنّك سلكت سبيلك الذاتيَّ لا السبيل الإلهيَّ، وترغب الآن في العودة إلى طريق الله النقيِّ والمقدَّس) ثُمَّ اعترفت في اتّضاعٍ وصدق بخطاياك التي تعيها، وسمَّيتها بأسمائها المحدَّدة أمام الله، فإنّك أنت أيضًا ستبتهج بجمهرة مراحم الله اللطيفة (كثرة رأفته). عندئذٍ فقط يتنقَّى ضميرك بحيث يُتاح لك من جديد أن تستأنف شركتك مع إلهٍ قدّوس.

وحين يكون ضميرك قد تنقَّى بفعل الرحمة من قِبَل إلهٍ مُحِبّ، يتبيَّن لك أنَّك حُزتَ ثقةً متجدِّدةً في الصلاة:

فإذْ لنا، أيُّها الإخوة، ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع... لنتقدَّمْ بقلبٍ صادق في يقين الإيمان، مرشوشةً قلوبنا من ضمير شرّير... (عبرانيين ١٠: ١٩، ٢٢).

بلى، إنَّ الثقة الحقيقيَّة أمام الله تنبع من ضمير نقيّ! وعندئذٍ يُطلِق

القلب الصادقُ صدقًا شفّافًا ذلك النوعَ من الإيمان الواثق الذي هو شرطٌ فعليٌّ للتمتُّع الكليِّ بالشركة الحيَّة مع الله.

وحين تعلم أنَّ قلبك مُطهَّر، لا تعود الذكرى المُذِلَّة المرتبطة بالخطيَّة الماضية تقوى على إزعاج ضميرك. طبعًا، سيحاول الشيطان أن يشتكي عليك. ولكنْ في سبيل إحباط أقوى هجماته، ينبغي أن يكون جوابك له هو بعينه جواب الله لضميرك الشاعر بالذنْب، أعني قوَّة دم يسوع الثمين. ففي سفر الرؤيا، يتبيَّن أنَّ القدِّيسين الذين كان الشيطان يشتكي عليهم بالخطايا التي سبق أن غفرها لهم الله قد أدركوا ما لذلك الدم الثمين من قوَّة فائقة. إذ ذُكر عنهم أنَّهم **غلبوا** الشيطان **المشتكي** على الإخوة، **غلبوه بدم الخروف**... (**رؤيا ١٢: ١٠ و١١**). فهم تمتَّعوا ليس فقط ببركة الضمير المطهَّر، بل تعلَّموا أيضًا سرّ الضمير المستريح غير المضطرب. هللويّا!

الشركة الحيّة لا يمكن أن تتواجد مع التوجّه الذهنيّ الخاطئ.

غالبًا ما يكون سببٌ مخفيٌّ وراء فقدان الناس للشهيَّة إلى لبن كلمة الله المغذّي. هل حدث مرَّةً أنِ ابتُليت بحمَّى أفقدتك شهيّتك؛ ومهما كان الطعام سائغًا، عزفتَ عن تناوله؟ وعلى هذا المنوال، فكما أنَّ وجبةً مُغذِّية يمكن ألاَّ تُثير قابليَّتك عندما تكون مريضًا، لا يبدو الكتاب المقدَّس جذّابًا لك إن كان توجُّهٌ ذهنيٌّ خاطئ قد أخمد شهيّتك الروحيَّة!

ومع أنَّ الرسول بطرس يشجّعنا قائلاً: **إشتهوا اللبن العقليَّ العديم الغشّ** (**١بطرس ٢: ٢**). أي حليبَ كلمة الله الصافيَ المغذّي، فإنّه يحذّرنا قبل ذلك من تلك التوجُّهات التي قد تُبدِّد شهيَّتنا إلى الغذاء الإلهيّ. كما أنّه يفيدنا

ضمنًا أنَّ هنالك طريقةً واحدة فقط لمعالجة هذه العوائق التي تحول دون قضاء وقت معيَّة مُغَذٍّ. فكلُّ عائق للشهيَّة الروحيَّة السليمة يجب أن يُنحّى جانبًا، والتوجُّه الذهنيُّ غير السليم ينبغي أن يُغيّر تغييرًا جذريًا حتّى تُستعاد الشهيَّة الروحيّة السليمة. وما هذا إلاّ أسلوب آخر للقول: «توبوا!»

فاطرحوا كلَّ خبث وكلَّ مكر والرياء والحسد وكلَّ مذمَّة... اشتهوا اللبن العقليَّ العديم الغشّ، لكي تنموا به (١بطرس ٢: ١ و٢).

إنَّ الكتاب المقدّس ينصُّ صراحةً على أنَّنا لن نشتهي أبدًا «حليب الكلمة الصافي» قبل أن نكون قد عالجنا الأدواء الروحيَّة السابقة الذِّكر والتي تُفسِد شهيَّتنا الروحيّة. فلننظر في هذه العِلَل واحدةً فواحدة:

الخبث: غيظُنا أو سخطُنا حيال الطريقة التي بها عاملَنا الآخرون، وإضمار روح تأبى المسامحة.

لقد احتملت «كوري تَن بُوم» آلامًا لا تُصدَّق في مركز التعذيب المُشهَّر في معسكر الاعتقال النازيّ في «رافنسبروك». بل إنَّ ما كان أكثر ترويعًا أنَّها شهدت حياة أختها الحبيبة والقدّيسة تذوي في ظلِّ ظروف التعذيب الوحشيَّة في ذلك المُعتقَل. وإذ تكلَّمت «كوري تَن بُوم» لاحقًا عن الحرّاس الأفظاظ الذين أنزلوا بالسجينات تلك الفظائع، شهدت كيف سامحتهم حقًّا وقالت: «**المسامحة فعلٌ من افعال الإرادة. وفي وسع الإرادة أن تختار التصرُّف بصرف النظر عن حرارة القلب.**»

فإنْ كنت تُضمر روحًا غير غافرة تجاه شخص ما، مهما كان ما قاسيتَه على يدَي ذلك الشخص، فإنَّ امتناعك عن المسامحة لن يؤذيَه هو، بل سيخنق حتمًا حياتك الروحيَّة! وفي الواقع أنّك ستكون مستعبَدًا

لذلك الشخص، حتَّى تعقد إرادتك على مسامحته. عندئذٍ فقط يمكنك أن تُصلِّي ما علَّم الربُّ يسوع تلاميذه أن يُصَلُّوه: **إغفر لنا خطايانا، لأنّنا نحن أيضًا نغفر لكلِّ مَن يذنب إلينا (لوقا ١١: ٤)**. فإن كنت على علم بوجود روح «خُبث» (عدم مغفرة) في قلبك، فاختَر أن تُسامح ذلك الشَّخص، أو أولئك الأشخاص، فيما تقضي وقتًا في الخلوة أمام الله. ومن ثَمَّ تغدو قادرًا على التعبير عن محبَّة الله تجاههم بلا رياء!

المكر: لجوؤنا إلى كتم سقوطنا أو تعليله عقليًّا، بدلاً من الاعتراف بخطيَّتنا، عائشين حالة خداع بدل حياة الاستقامة.

الرياء: التظاهُر بما يُناقض حقيقة أنفسنا، تدفعنا رغبة متكبِّرة لإعطاء انطباع خاطئ، مدَّعين أنَّنا شيءٌ أو شخصٌ لسنا إيّاهما. وفي جذر كلّ رياء رغبةٌ في الظفر بالاستحسان، أكان من قِبَل خادمٍ للربّ أم أبٍ أو أمّ أو صديق، أو في مكان العمل.

الحسد: أن تكون ردَّة فعلنا حيال تمتُّع غيرنا بالبركات متَّسمةً بالارتياب عوضًا عن الابتهاج الصادق، أو أن نشتهي ما يملكه سوانا.

المذمَّة: أن نستعمل ألسنتنا لإيذاء الآخرين أو اغتيابهم، أو أن نُعير آذاننا لسماع أيّ شيء من شأنه تشويه سمعة آخر خُلقيًّا، أو أن نحاول التهوين من أمر ذنْبنا الشخصيّ بالإشارة إلى الخطايا في حياة شخصٍ آخر.

تلك هي الأمور التي ينبغي أن نطرحها جانبًا إن شئنا أن نشتهي حقًّا كلمة الله للتغذِّي بها. وعندئذٍ، فكما أنَّ الطفل المولود حديثًا لا يحتاج إلى إقناعٍ كي يطلب الحليب المُحيي إذْ يحين وقت الإرضاع، فكذلك أنت أيضًا إذ تُتاح لك فرصةٌ كي تفتح كتابك المقدَّس لا بدَّ أن تشتهي

اللبن العقليّ العديم الغشّ، لكي تنموَ به (١بطرس ٢: ٢).

الشركة الحيّة لا يمكن أن تتواجد مع حياةٍ محورُها الذات.

أُتيح لي منذ عهد قريب أن أطَّلع على رسالة بعثت بها مُرسَلةٌ ما زالت تخدم في اليابان منذ عدَّة سنين. وهي تخدم بين أشخاص لا يستطيع مُعظم الآخرين أن يصلوا إليهم، من مسؤولين حكوميِّين وعاملين في السلك الدبلوماسيّ وسواهم من عليّة القوم. وممّا تضمَّنته تلك الرسالة:

تُرى، ماذا حلَّ بتعليم إنكار النفس وحمْل الصليب كلَّ يوم؟ فإذ استعرضتُ كتبًا تتناول الحياة المسيحيَّة، لفتَ انتباهي أمرٌ بيّن. إذ إنَّ كثيرًا من موضوعات الكتب التي اقتنيتُها في العشرين سنةً الماضية أو نحوها يُختصَر بوصف تحسينات للحياة المسيحيَّة ممّا «تقوم به بنفسك». ولكنّني أذكر أنَّ الكتب التي شاعت في بدايات حياتي المسيحيَّة كانت تتناول إنكار النفس، وحمْل الصليب يوميًّا، وعَيْش حياة مقدّسة، والثبات في المسيح، والسماح له بأن يُظهِر حياته فيَّ وبي. أفهذه التعاليم تختفي شيئًا فشيئًا، أم أنا أتصوَّر ذلك؟

وربَّما كان ذلك ما عناه قائدٌ صينيٌّ في هونغ كونغ إذ كتب: «في الغرب، أو في العالم الحرّ عمومًا، أرى الكنيسة تقف على نحو متزايد في جانب انتصار قيامة يسوع المجيد. إنَّهم يبتغون ذلك النوع من العلاقة. وهُم معنيُّون بنجاح الابن المُقام وتفوُّقه وخيراته. إنّما أقلاّءُ يشتركون في آلام المسيح (لأجل البرّ). غير أنَّني أرى نقيض ذلك في الكنيسة الآسيويّة، ولا سيّما في البلدان التي تشهد الأوضاع فيها تضييقًا وتقييدًا. فهؤلاء المؤمنون أكثرُ استعدادًا للشركة مع المسيح المتألِّم. إذ إنَّ شركة آلامه، بالنسبة إليهم، هي مكافأتهم وامتيازهم الأعظمان.»

التشبُّه بموته

لقد صلّى الرسول بولس نفسُه قائلاً: **لأعرفه** (الربَّ يسوع) **وقوَّة قيامته، وشركة آلامه، متشبِّهًا بموته (فيلبّي ٣: ١٠).**

من شأن سفر عاموس أن يُعيننا على إدراك مضامين هذه الرغبة السامية في مشاركة الربِّ يسوع المسيح كما عبَّر عنها الرسول بولس. إذ إنَّ عاموس سأل هذا السؤال: **هل يسير اثنان معًا، إن لم يتواعدا؟ (عاموس ٣: ٣).** فإن تشوَّقنا إلى السير بقوّة قيامة المسيح، ينبغي لنا كذلك أيضًا أن نقبل يقينًا الإسهامَ بنصيبنا في شركة آلامه. ومعلومٌ أنّ نصف الاتّفاق ليس اتّفاقًا على الإطلاق!

وفي موضع آخر سلّط بولس الضوء على الألم المُمضّ الذي يصحب المحبَّة التي لا تلقى تجاوبًا، وذلك لمَّا كتب إلى المؤمنين الذين آمنوا على يده، إذ بدأوا يطعنون في سلطانه الرسوليّ: **وأمّا أنا فبكلِّ سرور أُنفِق وأُنفَقُ لأجل أنفسكم؛ وإن كنتُ كلَّما أُحبُّكم أكثر أُحَبُّ أقلَّ (٢كورنثوس ١٢: ١٥).** وكان بولس قد حلَّل المحبَّة الحقيقيَّة فقال بصريح العبارة: **المحبَّة تتأنّى وترفق... ولا تطلب ما لنفسها (١كورنثوس ١٣: ٤ و٥).**

هذه المحبَّة الخالصة، التي تحتمل الآلام بأناة وهي غيرُ أنانيَّة أيضًا، تجسَّمت على نحوٍ عجيب في شخص ربّنا يسوع المسيح. فلمّا جاء الربّ يسوع إلى عالمٍ يفتقر للمحبَّة، بيَّن محبَّة الله على نحوٍ كامل في هيئة إنسان. حيث إنَّ أفعاله وأقواله، وأفكاره داخل قرارة نفسه،

صورة رائعة للمحبَّة التي لم تُعنَ قطُّ بمصلحة الذات. بكلامٍ آخر: إنَّ الربَّ يسوع، من لحظة إضْجاعه في المِذوَد حتّى لحظة ارتفاعه على الصليب، رفض بمحبَّةٍ أن يوظِّف امتيازات كماله الإنسانيِّ الخاصِّ في طلب مصالحه الشخصيَّة.

ووفقًا لذلك، ففي أثناء السنين الثلاث والثلاثين التي قضاها الربُّ يسوع على الأرض، **وضع نفسه (١يوحنّا ٣: ١٦)** باستمرارٍ لأجل خير الآخرين. ثمَّ لمّا واجه ألم الصليب المبرِّح، نقرأ ما يلي:

يسوع... وهو عالم أنَّ ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب، إذ كان قد أحبَّ خاصَّته الذين في العالم، أحبَّهم إلى المنتهى (يوحنّا ١٣: ١).

نعم، إنَّ محبَّته كانت متأنّية ومتحلِّلة للألَمّ وعليه، فإذا شئنا أن تكون لنا بالفعل «شركة» مع مخلِّصنا، فالسؤال الفاحص للقلب والذي ينبغي أن نطرحه على أنفسنا هو هذا:

اأستخدم خيرات الحياة التي أنعم بها الله عليَّ في سبيل منفعتي الخاصَّة وتقدُّمي الشخصيّ، أم أنا مستعدٌّ لأن ابْذل حياتي بالمحبّة الأصيلة لأجل الآخرين، حتّى لو انطوى هذا العمل على معاناة الألم؟

بلى، إنَّ محبَّة الله ترسم صورة مفارقة بيِّنة نسبةً إلى جيلنا الحاليّ الذي شعارُه «نفسي أوَّلاً»، والذي يعلن بجسارة أنَّ محبَّة الذات فضيلة وأنَّ حقوق المرء أهمُّ من خير الغير. وعبادة الذات هذه بعينها هي من الأمور التي تعلنها كلمة الله بوصفها علامات الأيّام الأخيرة: **لأنَّ الناس يكونون محبّين لأنفسهم... محبّين لِلَّذّات دون محبّة لله (٢تيموثاوس ٣: ٢ و٤).**

فغير عجيبٍ إذًا أن يكون «ألِكسندر مكلارين» قد أصرَّ على أنَّ السبيل إلى الجمالات الروحيَّة الأسمى ترتسم عليه آثار الأقدام المضرَّجة بدماء محبَّة الذات الجريحة.

إنَّ الخطيَّة، سواءٌ عبَّرنا عنها بالفعل أو بالفكر، تقدِّم البرهان على ميلنا الموروث المتَّسِم بوعي الذات والأنانيّة. ويشير «أزوالد تشامبرز» إلى هذه النزعة الأنانية بوصفها «مطالبتي بحقّي لنفسي»، مؤكّدًا أنّها «خطِرةٌ على كلِّ حال، سواءٌ تمَّ التعبير عنها عمليًّا بأخلاقيّة رفيعة أم بلا أخلاقيَّة وضيعة.» فمن السهل أن نستهجن الأنانيَّة والقسوة في السرقة والاحتكار. ولكنْ ينبغي لنا أيضًا أن ندرك أنَّ أنانيّة الإنسان الأثيمة يُعبَّر عنها بطرق أكثر خبثًا ومكرًا على حدٍّ سواء.

فلا يدهشنا أن تكون في لبّ كلِّ مشكلة عائليَّة وتوتُّر اجتماعيّ، بل في لبّ أغلب المصاعب الكنسيّة أيضًا، تلك المطالبةُ الغادرة بحقّي لنفسي، من جهة وقتي ومالي وطريقي ورغبتي وإرادتي... وبالحقيقة أنَّ أيَّ شيء لا يُظهِر محبَّة الله التي لا تطلب ما لنفسها يكون تعبيرًا عن أنانيّة الإنسان الفطريّة.

منظوري السماويّ

إنَّ الطريقة الوحيدة التي بها يمكننا أن نميّز الأنانيَّة هي أن ننظر إلى أنفسنا من وجهة نظر الله. ويعمد «جاي بي فيلبِس»، في كتابه «رسائل إلى كنائس فتيَّة»، إلى إعادة صياغة الصلاة التي صلاّها بولس لأجل

مؤمني الكنيسة في كولوسي على النحو التالي:

نُصلّي إلى الله طالبين أن تصيروا ترَون الأمور من وجهة نظره هو، بأن تنالوا بصيرةً وفهمًا روحيَّين (كولوسي ١: ٩ بصياغة فيلبس).

فعندما نقتدي ببولس ونُصلّي إلى الله طالبين إليه أن يفتح عيوننا الروحيَّة، عندئذٍ فقط نبدأ برؤية ظروف حياتنا الشخصيَّة على حقيقتها، ليس بعينَي كياننا الأنانيّ، بل من منظور الله السماويّ. وبهذه الطريقة فقط يمكننا أن ننظر إلى وقائع حياتنا بمنظاره الروحيّ الدقيق.

كان لي ولزوجتي صديقةٌ نعرفها منذ عهد بعيد، اسمُها السيِّدة «سايلانس». هذه المرأة الفاضلة تعزَّت عزاءً عظيمًا لمّا واجهت مأساة عائليَّة بروح الصلاة والخضوع من منظورٍ سماويّ. فإنَّها استيقظت ذات ليلة إذ رنَّ جرس التلفون في الساعة الثانية، وسألها ضابط الشرطة: «هل تعرفين مَن كان يقود سيّارتكِ الليلة؟» فأجابت متوجِّسةً: «نعم، إنَّ ابنيَّ راجِعان بها من مؤتمر روحيّ للشبيبة.» وتناهى إليها الصوت الأجشُّ يقول: «عندي لكِ نبأٌ مؤسف: لقد غلب النعاس السائق، وها هي سيّارتك مُلتفَّة حول شجرة على حافة الطريق. السائق تُوفّي، ولا أمل في الواقع بأن يبقى الشّابُ الآخر حيًّا!»

صُعقت الأمُّ وذُهِلت لدى سماعها النبأ، ولا سيَّما لأنَّ قلبها كان زاخرًا بالمحبَّة العطوف لأولادها. ثمَّ وضعت سمّاعة التلفون وصرخت إلى الآب السماويّ: «يا الله، ماذا تفعل الأمُّ في مثل هذه الحالة؟» ومن الخير أنَّها كانت قد تعلّمت أن تصلّي وتفكِّر بطريقة كتابيَّة. وكما قالت لي في ما بعد فإنَّ كلَّ ما استطاعت أن تفكِّر فيه كانت آية الكتاب التي

توصينا أن **اشكُروا في كلِّ شيء (١ تسالونيكي ٥: ١٨)**. ثمَّ أردفَت: «ولكنْ، يا ربّ، أنت تعلم أنَّ قلبي غير شاكر. إنَّه بارد ومصدوم وخاوٍ. ولكنّي في هذه الليلة الرهيبة سأُطيع كلمتك. فإذ أقوم بهذا، أرجو أن تجري معجزة في قلبي. عندما أُطيعك وأقول لك شكرًا، فلا بدَّ أن تجعل هذا الأمر حقيقيًّا، لأنّي في هذه الساعة الفاجعة لا أشعر بأنّي شاكرةٌ البتَّة.» بهذه الطريقة مارست السيدة «سايلانس» إيمانها وشرعت تُصلّي.

وقد أخبرتني هذه الأمُّ الحنون أنَّها لمَّا قالت أوَّلاً: «شكرًا لك، أيُّها الآب، من أجل كونك مَن أنت،» ظلَّ قلبها الذاهل باردًا وخاويًا. ولكنْ فيما كرَّرت تشكُّراتها بإيمان وإخلاص، أجرى الروح القدس معجزته العجيبة! فقد ملأ قلبها بالعزاء والشُكران الأصيل. بلى، في أثناء ساعات الليل تلك الطويلة المظلمة، استجاب المعزّي الإلهيُّ، الروحُ القدس، لإيمان تلك المرأة وطاعتها. فطمأنها إلى محبَّة الله غير المتغيّرة لها ولعائلتها على السواء. وإذ بزغ فجر النهار، كانت عيناها بالطبع ما تزالان مُغرَورِقتين، ولكنَّها في الوقت عينه اختبرتِ التعزية الفائقة الوصف إذ ملك سلام الله في قلبها.

يا لها من شهادة رائعة لنعمة الله إذ طوَّق أُمًّا حزينة بأذرُع محبَّته الأبديَّة! فبثقةٍ راسخة وهادئة، وصفت السيّدة «سايلانس» كيف غمر نفسَها في أثناء ذلك الليل الحالك سلام الله الذي يفوق إدراك البشر. وكما أثبتت هذه المرأة الفاضلة في مسيرتها مع الربّ، فعندما يأتي الضيق، يكون الفرق بين وجهة النظر البشرية ووجهة النظر السماويّة فرقًا كليًّا.

وإذ تتمتّع أنت أيضًا بشركة وثيقة مع الله، فسوف تدرك أنَّ بين الشكر والإيمان علاقةً متبادلة دائمًا. فحينما يغمر قلبَك شكرانُ الإيمانِ الأصيل، يُقدِّرك الله على أن تنظر من وجهة نظره هو إلى ظروفِ حياتك المتغيّرة، سواءٌ بدت جيّدة أو رديئة في ظاهرها. وبهذا المنظور السماويّ، لا بدَّ أن يُطمْئن الله قلبك المتألِّم **أنَّ كلَّ الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبُّون الله، الذين هم مدعوُّون حسب قصده** (**رومية ٨: ٢٨**). فالعزاء المتضمَّن في هذه الآية لا ينبغي أن يبقى حقيقة كثيرة الاقتباس باردةً وخاوية فحسب. إذ قد أعطانا الله هذا الوعد الثمين حتَّى يُجلجِل بحقيقته العجيبة في قلبِ كلٍّ منّا. لذا احمَدِ الربَّ عندما تشعر بميلٍ إلى ذلك! واحمَدِ الربَّ عندما لا تشعر بميل إلى ذلك! فلن يأتي في حياتك أو حياتي أبدًا أيُّ ظرفٍ لا يكون فيه حمدُنا للربّ أمرًا في غير محلِّه.

تلقَّينا، أنا و«دوروثي»، منذ عهد قريب رسالةً من مُرسَلَين ما زالا يخدمان المسيح منذ مدَّة طويلة خدمةً أمينة ومثمرة في ظروفٍ كثيرة القيود ببلدٍ من بلدان الشرق. في تلك الرسالة كتب «ستان» هذه العبارة: «أستطيع – وينبغي لي – أن أحمَد الربَّ على أساس طبيعته، لا على أساس راحتي!» وإذا شئنا توسيع ما قالته «كوري تن بُوم» عن المسامحة، نستطيع أيضًا أن نقول إنَّه لمَّا كان حَمْد الربّ فعلاً من أفعال الإرادة ففي وسع الإرادة أن تختار حمد الربَّ بصرف النظر عن حرارة القلب! ثُمَّ إذ نختار أن نحمده، فلا بدَّ أن يُعطينا وهج سلامه الداخليَّ واليقين الثابت بمحبَّته غير المتغيِّرة، كائنًا ما كان ظرفُنا.

ولنلاحظ أنَّه غير مطلوب منَّا أن نشكر الله **على** كلِّ شيء، بل أن نشكره **في** كلِّ شيء.

فالتشكُّر الأصيل، النابع من إدراكنا لمنظورنا السماويّ، هو العامل الإيمانيُّ الذي يفصل رثاء الذات عن الحزن.

ولنتذكَّر أنَّ هذا صحيح سواءٌ كُنَّا في كنيسة أو في مستشفى! حتَّى إذا هبَّت علينا عواصف الحياة العاتية، فمع أنَّ القلب المكبَّل بقيود الأرض يستسهل اتّخاذ موقفٍ شعارُه «ارثوا لحالي!» أكثر من أيّ موقف آخر، فإنَّ القلب الذي مركزه المسيح ما ينفكُّ يُمجِّد المسيح ويُسبِّحه على كلِّ حال. وقد تحدّث «أزوالد تشامبرز» عن ذلك بقوله:

معظمنا يسقطون وينهارون عند أوَّل نوبة ألم. فنجلس عند عتبة مقاصد الله ونذوي من رثاء الذات. حتَّى إنَّ عطف مَن يزعمون أنَّهم مسيحيُّون لن يؤدّي إلاَّ إلى تسريع عمليَّة البؤس. أمّا الله، في محبَّته العظيمة، فلن يفعل ذلك أبدًا. إنَّه يوافينا بقبضة يد ابنه المثقوبة، ويقول: «ادخلْ رحاب الشركة معي؛ قُم واستنر!» وإذا كان الله، بوساطة قلبٍ مكسورٍ، يمكن أن يُجريَ مقاصده في العالم، فاشكرْه إذًا على كسرِه قلبك (أزوالد تشامبرز، **أقصايَ لأسماه**، بتصرُّف).

ولنلاحظ السبب الإلهيَّ المُحِبَّ وراء **كلِّ الأشياء** في حياتنا. فالآية التالية فورًا تكشف لنا أنَّ القصد منها هو أن نكون **مشابهين صورة ابنه (رومية ٨: ٢٩)**.

بلى، إذا شئنا أن نفهم كيف أمدَّنا الله بحريّة مجيدة من نير أنفسُنا، فمن الضروريِّ حتمًا أن نتعلَّم النظر إلى حياتنا من زاوية النظر السماويَّة.

إنَّ علاج الله للحياة المتمركزة حول الذات ليس التحسين ولا التهذيب، بل الموت! فعندما تواجهنا جاذبيَّة حياة الذات المركزيَّة في حياتنا على الأرض، يستطيع الإيمان الأصيل أن يبتهج بحقِّ الله الأبدي الذي مُفاده: **قد متُّم، وحياتكم مستترة مع المسيح في الله (كولوسّي ٣: ٣)**.

فلأنَّ حياتنا **مستترة مع المسيح في الله**، بعمليَّة **الموت والدفن والقيامة (رومية ٦: ٢-٤)**، فقد تمَّ فصلُنا جذريًّا عن كينونتنا المقيّدة بالأرض وعن اهتماماتها المتمركزة حول الذات. والآن نستطيع أن نتمتّع بمنظور حياتنا الجديد في جانب القيامة الذي هو جانب الصليب الآخر!

في المسيح قد متُّ، في المسيح قد قمتُ،
في المسيح على أعدائي انتصرتُ،
في المسيح، في السماءِ جلستُ،
وتهلَّلت السماءُ لهزيمةَ جهنَّم!

إنَّ المسيحيَّ الحقيقيّ، وقد مات بالنسبة إلى الخليقة القديمة، صار جزءًا من خليقة الله الجديدة. تلك هي فحوى خلاصنا في الأساس.

وإذ ندرك صلْبنا مع المسيح من حيث مقامُنا، فلا بدَّ أن تتحوَّل حياتنا اليوميّة من كونها وجودًا متمركزًا على الذات لتصير اختبارًا عمليًا مركزُه المسيح. ولكنْ في سبيل التمتُّع بمثل هذه الشركة الوثيقة معه، ينبغي لنا أن نعرف كيف نتعامل دائمًا مع حياة الذات، هذه التي تشكِّل مشكلتنا الدُّنيويَّة!

مشكلتي الدنيويَّة

ينبغي لنا الآن ان نطرح هذا السؤال الفاحص للقلب: «هل حياتي على الأرض مركزُها المسيح حقًّا، أم أنَّها ما تزال متمركزةً حول الذات؟»

يقينًا أنَّ الحياة المتمركزة حول الذات لا تلبث أن تصير مُعاديةً لأيِّ شخص، أو غاضبةً حيال أيِّ ظرفٍ، يهدِّد أمانها أو أنانيَّتها أو راحتها أو مسرَّتها. وقد عبّر «ج. كامبل مورغان» عن ذلك بهذه الطريقة: «الأنانيَّة جوهر الخطيَّة، وقلب العداوة، والمادَّة التي منها صُنعت جهنّم» (هوشع: قلب الله وقداسته).

ذاتَ مساء، في اجتماع صلاة، سمعتُ امرأةً تُصلّي بإخلاص غير مألوف. ومن الواضح جليًّا أنَّها كانت تقابل الله بطريقة جديدة ومُحوِّلة للحياة إذ صلَّت قائلةً: «أيُّها الربُّ يسوع، طوِّقني بذراعَي محبّتك وضُمَّني إلى الصليب، وأحبِبني حتَّى الموت. فلستُ أُريد أن أكون أنا مَن يحيا بعد، بل المسيح الذي يحيا فيَّ!» ولقد أثَّرت فيَّ صلاتُها أيَّ تأثير.

ولئن كانت هذه الأخت الفاضلة على علم بأنَّها قد سبق أن حُرِّرت – بعمليَّة الموت والقيامة – لتسكن في السماويّات مع المسيح، فقد كانت تعي أيضًا أنَّ جسدها ما يزال في هذا العالم إلى أبعد الحدود! وبديهيٌّ أنَّها لمّا صلَّت كانت تلتمس الحلَّ الإلهيَّ للأقوال والأفعال الأنانيّة المرتبطة بجسدها هنا على الأرض. ويقينًا أنَّ صلاتها المُفعمة بالمعنى العميق قد عبَّرت عن شوقها الشديد إلى شركة مع ربّها أقوى

وأوثق. وإذ فكَّرت لاحقًا في هذه الصلاة، تبيَّن لي أنَّ بولس الرسول سبق أن قدَّم الأساس الكتابيَّ لمثل هذه الطلبة التي يضطرم بها القلب، وذلك لمَّا كتب:

لأنَّه إن عشتم حسب الجسد فستموتون؛ ولكنْ إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون (رومية ٨: ١٣).

وعسى أن يجد بعض قرّائي عونًا في الأفكار التالية على سبيل التأمُّل المعمَّق في مغزى هذه الآية، فيما يجد آخرون الإيضاح التمثيليَّ اللاحق أكثر فائدةً لهم على الصعيد العمليّ. فالعارفون باللغة اليونانيَّة يقدِّمون لنا بعدُ فهمًا أوفى للحقِّ المحرِّر الذي تنطوي عليه هذه الآية:

لأنّه إن عشتم حسب الجسد فستموتون؛ ولكنْ إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون (رومية ٨: ١٣).

أوّلاً: في اللغة الأصليَّة، أي اليونانيّة، يظهر فاعل الفعل «تُميتون» (بصيغة المعلوم) وهو **أنتم**.

الحقيقة الكتابيَّة: إن كان لي أن أتحرَّر من «أعمال» جسدي (حياتي الأنانيّة)، فعليَّ **فعلاً وعمدًا** أن أتعاون مع الله.

ثانيًا: تؤكّد لنا هذه الآية أيضًا أنَّه **بالروح** (المنفِّذ الإلهيّ) يقدّم الله تدبيره العجيب للانتصار على أعمالنا الأنانيّة المقيّدة بالأرض.

الحقيقة الكتابيّة: مع أنَّ عليَّ أن أنهمك في العمليَّة بروح الصلاة وبنشاط، فأنا لا أستطيع بنفسي أن أُميت أعمالي الأنانيَّة! فما دمتُ في هذا العالم، **فالروح القدس وحده هو مَن يستطيع أن يكفِّني جذريًا عن أفعالي المتمركزة على ذاتي.**

ثالثًا: من المفيد أيضًا أنَّ هذه الآية مكتوبة **بصيغة المضارع المستمر** «إن كنتم... تُميتون.» فعلى الصعيد العمليّ، يبيِّن استخدام هذه الصيغة أنَّ تعاوني مع الله مقرونًا بالصلاة والعمل ينبغي أن يجري **على نحو مستمّر**.

الحقيقة الكتابيّة: مع أنَّ طلب المؤمن إلى الروح القدس أوَّل مرَّة أن يحبَّ حياته الذاتيَّة حُبًّا يميتُها قد يكون اختبارَ تغييرٍ جذريًّا، فهذا ليس أمرًا يُفعل مرَّة واحدة فقط. ولكنْ كلَّما رفعت حياةُ الذات رأسها البشع، ينبغي أن نرفع صلاة مخصوصة حتَّى نتعاون مع عمل الروح القدس المُحرِّر. وإذ نتّكل دائمًا على خدمة الروح القدس التنفيذيّة تُمات إذ ذاك أعمالُنا الأنانيّة.

فإنَّ قصد الله يقضي بأن يكون موقفُ الإيمان هذا من جانبنا اختبارًا مستمرًا ومتواصلاً وحاضرًا كلَّ حين!

وتوضيحًا لهذا، لنذهبْ على أجنحة الخيال إلى قاعة محكمة، حيثُ يُحاكم رجلٌ بتهمة القتل. فبعد استعراض البيّنات وغربلتها، ثبت الجُرم على الرجل، وبات من واجب القاضي أن يمارس مسؤوليته الخطيرة بإصدار الحكم. ثمَّ يُخيِّم الصمت في قاعة المحكمة إذ ينهض القاضي ويقول: «لقد ثبت أنَّ هذا الرجل مُذنِب، ولذلك نحكم عليه بعقوبة الإعدام.»

بهذه العبارة القابضة للنفس تكون مهمَّة القاضي قد انتهت. ولكن إذا شاء القاضي أن يحاول تنفيذ حكم الموت بيده، فسحب مسدَّسًا من تحت حزامه وأطلق النار على القاتل، يصبح القاضي نفسه مذنبًا بجريمة قتل!

فبعد نُطق القاضي بحكم الإعدام، كلُّ ما يستطيعه هو أن يسلِّم المحكوم عليه إلى الجلاَّد الرسميّ.

على هذا المنوال، لا تستطيع حياة الذات فينا إلاَّ أن تُقِرَّ وتعترف بأنانيَّتها. وشأنُنا شأنُ القاضي في المحكمة، علينا أن ننطق بحكم الموت على أفعالنا الأنانيّة. ولكنْ مثلما لا يحقُّ للقاضي أبدًا أن يُعدِم القاتل حياته، فكذلك أفعالنا نحن أيضًا في حالة تمركزُنا حول الذات لا نملك القدرة على إماتة أعمال حياة الذات. إنَّما شكرًا لله على تدبيره جلاَّدًا إلهيًّا، هو الروح القدس، ولهذا الروحِ القدرةُ على إبطال فاعليَّة الأنانيَّة الممكنة في حياتنا.

بلى، بنعمة الله نُعطى «بالروح» القدرةَ على إماتة «أعمال الجسد». وإذ نستفيد من هذا التدبير العجيب على أساسٍ متواصِل ومتعمَّد، نبلغ إلى اختبار الفرح المحرِّر المرتبط بحياةٍ مركزُها المسيح حقًّا.

ومن جرّاء هذا التعليم الكتابيّ الجليّ، والعِبَر المؤثِّرة المستمدَّة من تلك الصلاة الحارَّة التي سمعتُها من أُختنا الفاضلة في اجتماع الصلاة، كثيرًا ما صلَّيتُ أنا أيضًا صلاةً من النسيج عينه:

يا ربّ، بروحك القدُّوس، ضُمَّني إلى صليبك، وأحبِب حياة ذاتي حبًّا يُميتُها. إنَّني أريد ألاَّ أكون أنا مَن يحيا فيَّ ما بعد، بل المسيح الذي يحيا فيَّ.

من السهل أن نعتقد أنَّ الغرض الأقصى من اغتذائنا وتَقوِّينا بكلمة الله هو أن نتخرَّج إلى حياةٍ تتَّسم بالاكتفاء والرضى. ولكنّ الحال ليس على هذا المنوال! فلماذا كان الكاهن في العهد القديم يُطعِم ويُغذّي خِيار غنمه؟ أليكون له فقط أفضل العينات حتّى يعرضها؟ لا، بل بالعكس،

كما يؤكِّد «وليم أستلّ»، كانت تلك الخراف هي عينها المطلوبة للذبح! إنَّها كانت مُعدَّة منذ ولادتها كي تكون ذبائح!

وما أكثر ما يحسب المؤمنون عن خطأ أنَّ قدراتهم الموسيقيَّة أو الخطابيَّة ستَسرُّ المسيح بطريقةٍ ما إذ يسعَون لحيازة الميدالية الذهبيّة أمام جمهور من المشاهدين الإنجيليّين! فعندما يُغذّينا الله من كلمته، بحُسن تدبيره المقرون بالمحبَّة، لا يكون قصده أن نؤدِّيَ عرضًا منبريًّا أفضل، بل أن يوضع كلُّ جانب من جوانب حياتنا على مذبحه، مذبح التضحية. وقبل أن نتمكَّن من أن نكون أحياء بالنسبة إلى كلِّ ما هو الله عليه في ذاته، ينبغي أن يتمَّ أوّلاً الموتُ بالنسبة إلى كل ما نحن عليه في ذواتنا: من رثائنا الذاتيّ، واكتفائنا الذاتيّ، وتمركُزنا حول الذات، وإرضائنا للذات، وتبريرنا للذات، وتزكِيَتِنا للذات... والقائمة تطول أيضًا وأيضًا.×

لقد أفاد الرسول بولس، بقلبٍ موجَع، أنَّه لم يستطع أن يجد أيَّ شخص آخر، ما عدا تيموثاوس، «يهتم» بالكنيسة في فيلبّي. فلأنَّ كثيرين من المؤمنين بالمسيح في تلك المدينة لم يعرفوا بالاختبار أنَّ المحبَّة «لا تطلب ما لنفسها»، نقرأ كيف علَّق بولس بأسًى: **إذ الجميع يطلبون ما هو لأنفسهم، لا ما هو ليسوع المسيح (فيلبّي ٢: ٢١).**

× في الكتاب المقدَّس، لا يعني الموتُ أبدًا الفناء بل الانفصال. فالموت الجسديُّ مثلاً هو انفصال النفس عن الجسد، والموتُ الأبديُّ هو انفصال النفس عن الله إلى الأبد. وبمعنًى مماثِل، يكون الموت عن حياة الذات هو الفصل الدائم للأعمال الأنانيَّة عن أنماط السلوك البشريّ. وهذا الأمر، على حدِّ ما قد رأينا، لا يمكن إنجازه إلاَّ بقدرة روح الله القدُّوس.

أين اليومَ المؤمنون الذين يهتمُّون فعلاً بالكنيسة المتألِّمة في أماكن كثيرة جدًّا من العالم؟ أنحنُ منهمكون للغاية بالحياة كما تؤثِّر فينا بحيث لا يبقى عندنا وقت كي نحبَّ أولئك الذين ليس لهم أيُّ شخص آخر يهتمُّ بهم فعلاً؟ إنَّما يجب أن نتذكَّر أنَّ محبَّة الله وحدها هي التي لا تطلب ما لنفسها وتتأنّى أناةً طويلة. وكما أنَّ الكأس المملوءة خلاًّ ينبغي أوّلاً أن تُفرَغ من محتواها المرّ قبل أن نتمكَّن من جعلها وعاءً لعصير البرتقال الحلو السائغ، هكذا ينبغي أن تُمات حياة الذات فينا أوّلاً قبل أن يُتاح لنا الامتلاء بمحبَّة الله. وحمدًا لله على كون هاتين الخدمتين كلتيهما جزءًا من عمل الروح القدس بنعمة الله في حياتنا. فما أحوجَنا جميعًا لأن نطلب باستمرار أن يُميت الروح القدس، بالفصلِ الجذريّ، أعمالَ حياة الذات، ثمَّ أن يملأنا في المقابل حتَّى الفيض بمحبَّة الله: **لأنَّ محبَّة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا (رومية ٥: ٥)!**

وإذ تبدأ هذه الحقائق تنبض في قلبك خلال وقت معيّتك، فلا بدَّ أن يكشف لك الروح القدس الحقَّ مجدَّدًا من كلمة الله.

حسنًا قيل إنَّ على كلِّ مؤمن «أن يمسك حسابًا قصير المدَّة مع الله.» فلنحرص دائمًا على ألاَّ يكون في حياتنا أيُّ شيء من شأنه أن يُبلِّد إحساسنا من نحو الله ويُعيق شركتنا معه.

فحصُ نفسٍ روحيٌّ

١ في حضرة سيّدي الربّ، أأنا عالم بأيَّة خطيَّة غير معترَفٍ بها لم أتُب عنها؟

٢ ألديَّ مشكلة في:
روحٍ غير غافرة؟
محبَّةِ أُناسٍ لا يروقونني؟
خداعِ الناس لإظهار صورة جيّدة؟
اشتهاءِ مواهب شخصٍ آخر أو ممتلكاته؟
التذمُّرِ والانتقاد؟

٣ أفي وسعي أن أُمارس إيمانًا واثقًا وراجيًا لأنَّ ضميري قد تنقَّى؟

٤ أحياتي على الأرض متمركزة على المسيح فعلاً أم هي ما تزال متمحورة حول الذات؟

والآن، لعلَّك ترغب في أن ترجع إلى صلاة وليم ماكلاردي بَنطِنغ ص ٣٧ ثمَّ أن تصلِّيها بنفسك من جديد في هدوء وتمعُّن!

حين نسير معَ ربّنا يسوعْ،
في نور كلمته المقدَّسة،
فأيَّ مَجدٍ يُضفي على درْبنا!
وفيما نعمل بمسرَّته
فلا بُدَّ من أن يمكثَ معَنا
ومعَ كلِّ مَن يثقُ ويُطيعْ.
ما من ظلٍّ يمكنُ أن يُخيّمَ
وما من غيمةٍ في الأُفق تلوحُ
إلاَّ وبسمَتُه تُبدِّدها.
ما من ارتيابٍ ولا أيِّ خوفٍ
وما من تنهيدةٍ ولا دمعةٍ
تدومُ إذ نحن نثقُ ونُطيعْ.
لكنَّنا لن نختبرَ أبدًا
مباهجَ محبّته الفائقة
قبلَ وضْع الكلِّ على مذبحه،
لأنَّ إنعامه الذي يُبديه
والفرحَ الأكملَ الذي يُعطيه
هُما لكلِّ مَن يثقُ ويُطيعْ.
إذْ ذاك في حلاوة الشركة
سنجلسُ طوعًا عند قدمَيه،
أو نمشي في الطريق بجانبه؛
وكلُّ ما يقولُهُ نفعلُهُ،
ونمضي إلى حيثُما أرسلَنا
لا نخشى شيئًا، بل نثقُ ونُطيعْ!

– جان هـ. سامّيز –

وقتُ المعيّة

إذا فكَّرنا مليًا، نجد أنَّه لا يكاد يوجد ما يعبِّر عن كبريائنا أكثر من اعتقادنا أنَّنا أكفياء لمواجهة تحدِّيات نهارنا بغير أن نستمدَّ المَدَد أوَّلاً من كفاية الربِّ يسوع المسيح ونحن فاتحون قلوبنا وكتابنا المقدَّس.

وقد حدَّد داود البذارَ الذي يُنتِج حياةً روحيَّة مثمرة. إذ قال إنَّ الشخص الذي يتأمَّل في كلمة الله هو مَن **يُعطي ثمره في أوانه... وكلُّ ما يصنعه ينجح (المزمور ١ : ٣)**.

فأيُّ امرئ يعدُ الله بأن ينجح؟ إنَّه ذاك الذي **في ناموس الربّ مسرَّته، وفي ناموسه يلهج نهارًا وليلاً (المزمور ١ : ٢)**.

أقول أحيانًا للأشخاص الذين قبلوا الربّ يسوع حديثًا في قلوبهم وحياتهم: «أصحاحٌ كلَّ يوم يُبقي إبليس في وضع المهزوم!» فاقرأ حصَّتك من الكتاب، ثمَّ أعِد قراءتها ثانية. وإذ تفعل ذلك تتمكَّن من أن تلهج (تتأمَّل) فيها آيةً آية. هل رأيتَ مرَّةً نعجةً في حقل تمضغ جِرَّتها؟ إنَّها تمضغ العشب وتبتلعه، ثُمَّ تُعيده إلى فمها لتمضغه من جديد، حتَّى تستخلص منه الغذاء. في هذا مَثَل جيّد على ما يعنيه التأمُّل الحقيقيُّ في كلمة الله.

أعرف رجُلاً اختبر الخلاص في ذكرى ميلاده السبعين. وكان

آنذاك يعرف من الكتاب المقدّس نزْرًا يسيرًا. حتَّى إنَّه قبْل نواله الحياة الجديدة في المسيح لم يكن من مرتادي الكنائس، ولا اشتملت معارفُه على تحصيل مدرسيٍّ كافٍ. ولكنْ بعد اختباره الولادة الجديدة، كان شوقه إلى النموّ في النعمة، وفي محبَّة الربِّ يسوع المسيح ومعرفته، شوقًا عظيمًا جدًّا بحيث إنَّه عندما انطلق إلى السماء في سنِّ الثالثة والثمانين كان قد قرأ الكتاب المقدَّس من الغِلاف إلى الغلاف ثلاث عشرة مرَّة. فمهما كان عمرُك وخلفيّتك الثقافيَّة، ففي وسعك أنت أيضًا أن تقرأ الكتاب المقدَّس كلَّ يوم.

ومن شأن الكتاب المفتوح، والقلب النقيّ، والروح المتَّضعة، وصلاة داود حيث قال: **إكشفْ عن عينيَّ، فأرى عجائب من شريعتك (المزمور ١١٩: ١٨)**، أن تمهِّد هذه كلها أمامك السبيل لقضاء وقتٍ مُثمِر في حضرة الربّ.

وكما سبق أن أشرنا، فإنَّ بعض الناس لا يدركون أنَّ **وقت المعيَّة** هو بالحقيقة محادثةٌ ذاتُ اتجاهين. إذ إنَّ الله يتكلَّم إلينا حين نتأمَّل في آيات الكتاب التي نقرأها. والمؤسف أنَّ كثيرين يفوتهم أن يعوا أنَّ الله، بعد أن يكون قد تنازل بمحبَّته فكلَّم قلوبنا، ينتظر منّا أن نتجاوب معه بالصلاة. فعندما **نفكِّر مليًّا** في كلمة الله، تصير هذه الكلمة جزءًا من **تفكيرنا**. وعندما **نتصرَّف** بمقتضى كلمة الله بروح الصلاة، تصير جزءًا من **حياتنا العمليَّة**.

ولعلّك الآن تسأل: «كيف يتكلَّم الله إليَّ عندما أقرأ الكتاب المقدّس؟» لقد وجدتُ أنا شخصيًّا عونًا كبيرًا في التأمُّل بكلِّ آيةٍ وفي ذهني أسئلةٌ معيَّنة، منها ما اقترحه عليَّ بعضُهم منذ عدَّة سنين مضت. فأنا أدع هذه الأسئلة توجِّهني فيما أتواصل مع الربّ بروح الصلاة. فاسمح لي بأن أقترح

عليك أن توجِّه أنت أيضًا تفكيرك على هذا المنوال فيما تتأمَّل في كلمة الله. ولأنّي اعتمدتُ هذه الأسئلة على مدى سنين عديدة، فقد صارت لي بمثابة طبيعة ثانية إذ أنتحي جانبًا للاختلاء بالله وكلمته المقدّسة.

ولَسوف تُلاحظ أنَّ بعض هذه الأسئلة ستتطلَّب فعل طاعة، وبعضها تستلزم استجابة إيمان، وبعضها أيضًا ستؤدّي إلى استرسالك في التعبُّد والتسبيح قدّام الربّ، كما أنَّ بعضها أخيرًا ستُعينك على تمييز مكايد عدوِّك إبليس وحِيَله الماكرة، وتمكِّنك كذلك من أن تفهم كيف يمكن أن يصير انتصار المسيح على الشيطان في حسابك أنت أيضًا.

فعلُ الطاعة

سبق أن فهمنا أنَّ علينا مَسك حسابات قصيرة الأمد مع الله إذا شئنا أن نكون متناغمين تناغُمًا دقيقًا مع صوت الروح القدس حين نقرأ الكتاب المقدَّس. ولكنْ كلَّما كلَّم الروح القدس قلوبنا فعلاً، ينبغي لنا أيضًا أن نطيع ما يقوله لنا.

عندما تقرأ الكتاب المقدَّس في وقت معيّتك أمام الربّ، يحسن بك أن تسأل: أفي هذه الآية ——————

وصيّة أطيعها؟

خطيّة أتجنّبها؟

قدوة صالحة أقتدي بها؟

قدوة سيّئة أبتعد عنها؟

أتَرى كيف يمكن أن تجذبك أسئلة كهذه إلى علاقة بالربّ شخصيَّة وثُنائيّة الاتّجاه؟ فإنّها لن تُبقيَك بالتأكيد متوقّفًا عند التفكير بالحقِّ الكتابيِّ الذي تعلَّمتَه؟ وحين تجيب عن هذه الأسئلة في حضرة الله، فلا بدَّ أن تدرك ضرورة التجاوب العمليّ من قلبك مع ما قد قاله الله.

وتذكّر دائمًا أنَّ الروح القدس نفسه هو معك حين تقرأ كلمة الله، وأنّه إنِ اتّكلتَ عليه فلا بدَّ أن يدفع كلمة الله نزولاً مسافةً لا تزيد عن خمسة وعشرين سنتيمترًا – من رأسك إلى قلبك!

إنّنا جميعًا نعيش في أيّام محفوفة بالمخاطر، فيما يعدو العالم قُدمًا في التمرُّد على الله وفي عصيان وصاياه. ففي سبيل التأثير في جيلٍ رافض للمسيح، ينبغي أن نكون طائعين وصادقين. وعندما نبدأ بإطاعةً الحقائق التي يُرينا الله إيّاها، عندئذٍ فقط ننفتح كي تفيض قوَّته من خلالنا إلى عالمٍ محتاج.

قرأتُ مع زوجتي مؤخَّرًا مقطعًا من كتاب «أُزوالد تشامبرز» **أقصايَ لأسماه**. وهاك ما قرأناه بصياغةٍ جديدة:

أطِع الله في الأمر الذي يُريك إيّاه، وفي الحال ينكشف لك الأمر التالي... قد تقول: «أعتقد انّي سأفهم ذلك يومًا!» ولكن رويدَك! إنَّ في وسعك أن تفهمه الآن! فليس الدرس هو ما يوتيك تبصُّرًا خاصًّا، بل الطاعة. حتَّى أيسرُ كسرٍ من الطاعة يفتح نوافذ السماء، بحيث تجد أمامك حالاً أعمق حقائق الله. ولكنَّ الله لن يكشف مزيدًا من الحقِّ عن نفسه ما لم تُطِع ما سبق أن عرفتَه.

يُروى أنَّ اثنين من روّاد المُرسَلين العظام، «شارلز تي أصطَد» و«هدسُن تايلُر»، تشاركا ذات ليلة في علِّيَّة. وفي الصباح باكرًا استيقظ

«تايلُر» ليجد رفيق حُجرته مستغرقًا في قراءة الكتاب المقدَّس المفتوح أمامه في ضوء شمعة ضئيل، فسأله كم مضى عليه وهو في تلك الحال. فجوابًا عن سؤال «تايلُر»، اعترف «اْصطَد» قائلاً:

«في منتصف الليل، استيقظت وفي خاطري كلماتُ الربِّ يسوع: **إن كنتم تحبُّونني، فاحفظوا وصاياي (يوحنّا ١٤: ١٥)**. وسألتُ نفسي: هل برهنتُ محبَّتي للربّ يسوع بطاعتي الشاملة؟ فمددتُ يدي إلى الكتاب المقدّس وقضيتُ باقي الليل قارئًا الأناجيل، حيث بحثتُ عن كلِّ وصيَّة أعطاها الربُّ لتلاميذه. فحيث كنتُ بنعمة الله مطيعًا لوصاياه، وضعت إشارةً على هامش كتابي وكتبت الكلمة: هللويا! وحيث لم أكُن مطيعًا، اعترفتُ بخطيَّتي، وبنعمته المقدِّرة تعهَّدتُ من جديد بأن أُطيعه، وبهذا أُبرهِن أنَّني حقًّا أحبُّه.»

فيا قارئي العزيز، حالما تسيرُ حقًّا «مع الربِّ يسوع في نور كلمته المقدّسة» فأنت أيضًا ستنضمُّ إلى ناظم تلك الكلمات شاهدًا أنْ ليس من سبيلٍ آخر سوى أن «تثق **وتُطيع!**»

استجابة الإيمان

الكتاب المقدّس هو بنّاءُ الإيمانِ الإلهيُّ! وفيما نُبنى في الإيمان (الإتِكال على الربّ يسوع وإطاعته)، فلا بدَّ أن نؤكِّد قائلين: «أنا لا أقدر، أمّا هو فيقدر على كلّ شيء!»

وعليه، ففي وقت معيَّتك أمام الربّ، يحسن بك أن تسأل:
أفي هذه الآية _____
وعدٌ أُطالِب به؟
تحذيرٌ أُراعيه؟

إن الكتاب المقدّس زاخر بالوعود الإلهيَّة. وحين نتأمَّل في كلمة الله، فمن الضروريِّ أن نطالب بوعود الله. إنَّما في الوقت عينه ينبغي لنا أن نأخذ بتحذيرات الله، يعني أنَّنا لسنا «نحيا بالإيمان»، بل بالحريِّ أنَّنا «نموت بادّعاء الإيمان!»

فإذ تقرأ الكتاب المقدّس يومًا فيومًا، لاحظْ كلَّ وعد من وعود الله وطالب بكلٍّ منها على أنَّه لك بالذات. ومتى خصَّصت لنفسك وعود الله، فإنَّ كفاية الربِّ يسوع المسيح المقويّة ستكون كلَّ القدرة التي تحتاج إليها كي تحوّل كلَّ خطوة جديدة في طريق الطاعة إلى واقع اختبارك الشخصيِّ الخاصّ.

إنَّك تُعطى وعودَ الله كي تصير لك حقًّا «حيًّا» في مسيرتك مع الله. وإذ تمسك بهذه الوعود، فسوف يتقوَّى إيمانك باستمرار، لأنَّ الكلمة تقول لنا: **إذِ الإيمان بالخبر، والخبر بكلمة الله (رومية ١٠: ١٧)**.

هل ساءلت نفسك مرَّةً ما هو عكس الإيمان؟ إنَّ الجواب ليس بالبساطة التي قد يبدو عليها. فأنْ تقول إنَّ عدم الإيمان هو نقيض الإيمان لَهُوَ في الواقع تفادٍ من كامل مضامين هذا السؤال. لذا، تصوَّرْ

إذا شئتَ ثلاثة «أنسباء» تُعطي الحياة: أوّلها الإيمان، وثانيها الاتّكال، وثالثها الاتّضاع. والآن فكّر في ثلاثة «أنسباء» تسبِّب الموت: أوّلها عدم الإيمان، وثانيها عدم الاتّكال، وثالثها التكبُّر.

إنَّ **صاحب الإيمان** هو إنسان يتّكل على الربّ يسوع المسيح حتّى يعمل له ما لا يستطيع البتَّة أن يعمله لنفسه. وعند قراءة الكتاب المقدّس، لا بدَّ أن يلاحظ ذو الإيمان وعود الله التي لا تُنقَض، ثمَّ يُخصّصَها لنفسه شخصيًّا.

وقد قال الربُّ يسوع المسيح لتلاميذه: **لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا (يوحنّا ١٥: ٥)**. نعم، قبل أن يتمكَّن المرء من الوثوق بالربِّ كي يقوم بأيِّ شيء ذي قيمة روحيَّة بفضل تقوية الربِّ له، ينبغي أن يقتنع بأنَّه بقوَّته الخاصَّة لا يقدر أن يفعل أيَّ شيء يكون له حسابٌ في الأبديَّة. وهذا النوع من الإيمان الواثق لا ينشأ إلاَّ في قلب متَّضِع. ومن ثَمَّ يستطيع امرؤ كهذا أن يقول مع الرسول بولس: **أستطيع كلّ شيء في المسيح الذي يقوّيني (فيلبّي ٤: ١٣)**.

أمَّا **عديم الإيمان** فهو إنسان يعتبر نفسه مستقلاً تمامًا بحيث لا يحتاج إلى معونة الله. ويؤسفنا القول إنَّ في العالم اليوم ملايين ممَّن لا يتّكلون على الربِّ يسوع المسيح لنيل خلاصهم. كذلك من المؤسف أيضًا واقعُ كون كثيرين من المؤمنين بالمسيح لا يتّكلون على المسيح الساكن فيهم بروحه كي يمكِّنهم من أن يعيشوا الحياة المسيحيَّة الحقيقيَّة. وأيُّ شكلٍ من أشكال اللاّاتِّكال البشريّ إنّما ينشأ في قلبٍ متكبِّر وغير خاضِع.

وعلى ذلك، يمكننا القول إنَّ نقيض الإيمان هو الكبرياء، فيما نقيضُ عدم الإيمان هو الاتِّضاع. وبعكس التفكير الشائع، فإنَّ الثقة بالذات والاكتفاء الذاتيّ يُلقِّحان القلب دائمًا ضدَّ جرعة جيِّدة من الإيمان.

فكلُّ تأثير دُنيوي يهدف إلى نفْخ الأنانيَّة لا بدَّ في الوقت عينه أن يُنفِّس ثقة المرء المتينة بالقدرة الفائقة للطبيعة والتي يمنحها المسيح المُقام. وموارد الله غير المحدودة هي وراء كلِّ وعدٍ قطعه، وهو لم يتركْنا لدهائنا أو مهارتنا حتّى نُسافِر في الحياة وحدنا.

وقد وضع «جي كاي شسترتون» (١٨٧٤ – ١٩٣٦) بكلِّ حصافةٍ إصبعه على مفارقة الكبرياء المكتفية بالذات، فكتب:

إنَّ ما نُعانيه اليوم هو الاتّضاع في غير موضعه الصحيح. فإنَّ الاتّضاع قد استقرَّ على لسان حال الاقتناع، حيث لم يُقصَد له أن يكون قطعًا. لقد قُصد للإنسان أن يكون شكَّاكًا من جهة نفسه، ولكنْ على يقينٍ متينٍ من جهة الحقّ. ولكنَّ الوضع قد عُكِس عكسًا كلّيًّا!

فأيُّ مؤمن بالمسيح يبقى مُتَّكلاً على المشورة البشريَّة الصادرة من أناس آخرين، أو يضع ثقته في ذاته بدل وضْعها في الربّ، لن يدخل أبدًا رحابَ ملءِ بركة الله. وكما يجري الماء دائمًا إلى المستوى الأدنى، هكذا أيضًا الروح القدس، الذي وصفه المسيح باعتباره ماءً حيًّا، لن يتدفَّق إلى الشخص الذي نفسُه **مُنتفخةٌ غير مستقيمة** والذي يُقال عنه: **الرجُل متكبِّر (حبقوق ٢: ٤ و٥)**.

غير أنَّ الروح القدس سيتدفَّق بوفرةٍ فيَّاضة من قلب كلِّ مؤمنٍ يدرك باتِّضاع حاجته إلى قدرة المسيح المقوّية:

وفي اليوم الأخير العظيم من العيد، وقف يسوع ونادى قائلاً: إن عطش أحد، فليُقبِل إليَّ ويشرب. مَن آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حيّ (يوحنّا ٧: ٣٧ و٣٨).

ففي كلِّ يوم يمكنك أن تخرَّ عند قدمي المسيح وتشرب من ذلك الماء الحيّ. وإذ تفعل ذلك، لا تعود حياتُك تُفسَّر بمواهبك أو بمعارفك وعلومك، بل إنَّ حياتك بالأحرى ستتميَّز بالفيض الوافر لروح الله القدّوس من صميم كيانك الداخليّ.

لنتذكَّرْ أنَّه في أُقنوم الروح القدس قد تنازل ربُّنا المُقام كي يكتسيَ الهيئة الطبيعيَّة لكل ولدٍ من أولاد الله مولودٍ من فوق. فبالحقيقة أنَّ المؤمن اليوم هو رأس الجسر الاستراتيجيُّ للربِّ يسوع المسيح إلى داخل عالَمٍ فاجر. إذ إنَّ الروح القدس، من خلال كلِّ مؤمن بالمسيح مستعدّ، يُتابِع إيصالَ عمله الخلاصيّ إلى حياة الناس الآخرين:

فإنّكم أنتم هيكل الله الحي، كما قال الله: إنّي سأسكن فيهم، وأسير بينهم، وأكون لهم إلهًا، وهم يكونون لي شعبًا (٢كورنثوس ٦: ١٦).

بَلى، نحن هيكل الله الذي بواسطته يتوق إلى إظهار قداسته ومجده! وإدراكًا من الرسول بولس لهذه الحقيقة المذهلة، يُتبِع التحريض المهيب التالي:

فإذ لنا هذه المواعيد، أيُّها الأحبّاء، لنطهِّرْ ذواتنا من كلِّ دنس الجسد والروح، مكمّلين القداسة في خوف الله (٢كورنثوس ٧: ١).

الحقيقة في العبادة

إن الشوكة الرنّانة هي الأداة المستعملة في العالم كلِّه لدوزنة البيانو. فبواسطة درجة النغم الثابتة من الشوكة الرنَّانة يمكن إصلاح أيِّ بيانو ناشز وإعادتُه إلى حالة التناغُم الكامل.

وبالمثل، فالكتاب المقدَّس هو أداة الله لدوزنة أشدِّ ألحان القلب البشريِّ كآبةً حتَّى يتناغم مع موسيقى السماء تناغُمًا كاملاً. وفيما تؤتيك كلمة الله تبصُّراتٍ جديدةً في مجد الله وقداسته ومحبَّته، فسوف تتجدَّد باستمرارٍ في تعبُّدك وتسبيحك له بواسطة ما وصفه الكتاب إذ قال:

مكلِّمين بعضكم بعضًا بمزامير وتسابيح وأغانيَّ روحيَّة، مترنِّمين ومرتّلين في قلوبكم للربّ (أفسس ٥: ١٩).

وإذ تضع هذا في ذهنك، ففي وقت معيّتك أمام الربّ، يحسن بك أن تسأل: أفي هذه الآية

فكرة جديدة عن الله الآب؟

فكرة جديدة عن الله الابن؟

فكرة جديدة عن الله الروح القدس؟ _____

من المُشجِّع أن نلاحظ أنَّ بين شعب الله اليوم، كما يبدو، شوقًا جديدًا إلى التعبُّد لله حقًّا. وقد شجَّعنا الربُّ يسوع على هذا النوع من العبادة لمَّا قال: **الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحقّ ينبغي أن**

يسجدوا (يوحنّا ٤: ٢٤). بعبارة أُخرى، إنَّ العبادة الحقيقيَّة يجب أن تكون تحت مسحة الروح القدس وبحسب حقِّ كلمة الله. وهذا النوع من العبادة فقط يأتي بالسرور إلى قلب الآب.

فحينما يلفت الروح القدس الانتباه إلى عجائب شخص الله، محبَّته وقدرته وقداسته ومجده ونعمته وصلاحه وأيَّة ناحية أخرى من نواحي جماله، حينئذٍ تنجذب قلوبنا في ترنيمة تعبُّد وتسبيح جديدة للربّ. ويمكن لوضعيَّة الجُثُوّ أن تساعدنا حتمًا على حيازة التوجُّه الذهنيِّ الصحيح عندما نقترب إلى الله مُصلِّين. ولكنك قد تكتشف معي أنَّ في حياتنا تلك اللحظات الخاصَّة التي فيها لا يبدو الركوعُ تذلُّلاً كافيًا للتعبير عن محبَّتنا وخضوعنا له.

فمن الممتع أن نلاحظ أنَّه لمَّا دخل يوحنَّا حضرة المسيح الممجَّد، في جزيرة بطمس، شهد أنَّ الجُثُوَّ لم يكن كافيًا، إذ قال: **فلمّا رأيتُه سقطتُ عند رجلَيه كميّت (رؤيا ١: ١٧)**.

إنَّما من المهمّ أن نعي أنَّه كلَّما كان للمؤمن شيءٌ ثمين يكون قريبًا منه في أغلب الأحيانَ نظيرٌ زائف خطير! فالربُّ يسوع المسيح لم يكتفِ بإعطاء التوجيه المختصِّ بالعبادة الحقيقيَّة، بل قدَّم أيضًا تحذيرًا صارمًا من نشاطٍ قد يدعوه بعضُهم عبادةً لكنَّه بالفعل نسخة مزيّفة عن الأصل الأصيل. ففي حين شجَّع الربُّ يسوع السامريَّة على التعبُّد بالروح والحقّ، أشار بالتحديد إلى مشكلةٍ أساسيّة إذ قال: **أنتم تسجدون لما لستم تعلمون (يوحنّا ٤: ٢٢)**.

فالعبادة ليست مجرَّد عاطفة، بل ينبغي أن يكون نقطةَ تركيزها

شخصُ الربّ يسوع المسيح. وإذا كان غرض العبادة هو أن نُدير الناس بدل أن نجعلهم يستديرون، تكون العبادة المزيَّفة عندئذٍ قد حلّت محلَّ العبادة الأصلية. ويقينًا أنَّ الربَّ يسوع يطلب ما يتعدَّى التأثُّر الروحيَّ، إذا شئْنا أن نمتلئ تسبيحًا لإلهنا.

إنَّ العبادة الحقيقيَّة هي تركيز الذهن والقلب باتّضاع على الربِّ يسوع المسيح الحيِّ والمُطلق السيادة كما هو معلَن في كلمة الله. ومتى حدث هذا، فلا بدَّ أن يحصل جُثوٌّ قلبيٌّ أمامه يصحبه الخضوع والتسبيح كلاهما.

التنبُّه إلى الخَصم

نعم، ها إنَّ الله مُبارِكٌ وقت معيَّتك! فإنَّ ضميرك الآن مُنقَّى. وإذ اعترفتَ بما فعله المسيح لأجلك على الصليب، فقد نبذتَ «حقَّك» في ذاتك وسُمعتك ومطامحك وممتلكاتك. وأنت الآن مستغرِق في بُعدٍ جديد من التعبُّد والتسبيح للربّ. أفتكون إذًا على ذُروة مقاصد الله بالبركة لوقت معيَّتك؟ ليس تمامًا!

فإنَّ خارج بابك عدوًّا غاضبًا جدًّا. بلى، إنَّ إبليس غاضب لأنَّ الله قد دبَّر طريقة بها يمكن أن يغفر خطيَّتك على نحوٍ يفي بعدالته، ولكنَّ إبليس صائر إلى بحيرة النار بغير أيَّة إمكانيَّة لنقض الحُكم. وعلى ذلك، ففي طريقك إلى السماء، يفعل الشيطان أيَّ شيءٍ يستطيعه لكي يعرقل خطواتك ويُزحزِحك عن تكرُّسك للربّ ويُفسِد شهادتك.

لهذا السبب يحسن بك، في وقت معيَّتك أمام الربّ، أن تطرح هذا السؤال: أفي هذه الآية
تبصُّرٌ جديد في شخص الشيطان؟
تبصُّرٌ جديد في أهدافه الفتّاكة؟
تبصُّرٌ جديد في مكايده الماكرة؟ _____

أُخبِرتُ مرَّةً عن صبيٍّ صغير رجع من مدرسة الأحد إلى البيت، وفي تلك الليلة لاحظت أُمُّه أنَّه جاثٍ إلى جانب سريره، فسألته: «ماذا أنت فاعل؟» فأجابها توًّا: «إنَّني أجعل الشيطان يرتجف. فقد رنَّمنا اليوم في مدرسة الأحد: 'الشيطان يرتجف حين يرى أصغر مؤمنٍ على رُكبتيه'! ولذا ركعتُ على ركبتيَّ لأجعل الشيطان يرتجف!»

ولكنَّ ما يُقلِقنا أنَّ مجرَّد فعل الركوع لا يكفي لحمْل الشيطان على الارتجاف! فلا يرتجف الشيطان إلاَّ حين تحرمه، باسْم الربِّ يسوع، محلَّ إقامةٍ في حياتك، وحين تتعوَّد بذلك الإسم الكليِّ القدرة، اسم يسوع، أن تخطف بعون الروح القدس نفوسًا عزيزةً من براثنه المهلِكة.

يعتقد كثيرون من المؤمنين أنَّهم إن تركوا الشيطان وشأنَه يتركهم وشأنَهم. غير أنَّهم في هذا مخدوعون على نحوٍ مؤسف. فحين تتقدَّم إلى الله في الصلاة مثلاً، هل تجد نفسك أحاييناً مفكِّرًا بأسًى في هزيمةٍ ماضية، حتَّى لو كنتَ قد اعترفتَ بها وغُفِرَت لك؟ إنَّ الشيطان سيسعى

دائمًا لأنْ يتَّهمك بخطيَّةٍ عالجتَها بإخلاصٍ عند الصليب. فحينما يذكّرك الشيطان بماضيك، ينبغي لك أن تذكِّره بمستقبله. ومع أنَّ الله قد اختار ألاَّ يذكر الخطايا التي قد غفرها، فالشيطان يريد أن يجعلك تركِّز من جديد على كلِّ واحدةٍ منها بمفردها، بحيث تشرع في الشكِّ بحقيقة غفران الله المقرون بالمحبَّة.

فالحَيرة والخوف والاضطراب واليأس هي الأعراض المعهودة لمساعي الشيطان إلى التدخُّل في مسيرتك مع الله.

نعم، إنَّ الشيطان سيفعل أيَّ شيء ليسلبك فرحك وسلامك ولكنْ فيما تقرأ الكتاب المقدَّس يُمكّنك الله دائمًا من تمييز المواضع التي فيها ظفر الشيطان بموطئ قدم في حياتك. ثُمَّ بالسلاح الذي أعدَّه لك الربّ، ينبغي لك أن تسدَّ كل نافذة في وجه تطفُّل إبليس الوقح!

في الحروب البشريَّة استراتيجيَّات دفاعيَّة وهجوميّة على السواء. فما من معركةٍ قطُّ كُسبت بالمناورات الدفاعيَّة وحدها. وكذلك في الحرب الروحيَّة، تدعو الضرورة إلى الاستراتيجيّات الدفاعيَّة والهجوميَّة جميعًا. وكِلا الدفاع والهجوم يتطلَّبان مدفعيّة كلمة الله. فمن جملة النواحي المُشجِّعة في حيازتك **وقت معيَّة** مثمرًا أنَّك حين تواجه الشيطان، إمَّا مباشرةً وإمّا مُداورةً، تتمكَّن من أن تستشهد بالآيات عينها التي تكون عاكفًا على قراءتها، ومن ثَمَّ تتمكَّن من أن تُصلِّيَ صلاةً كتابيَّة.

وما أروع أن تعرف أنّك حين تُصلِّي بحسب كلمة الله تُصلِّي أيضًا حسب مشيئة الله! وفي مشيئة الله لك أن تختبر الانتصار على إبليس ومساعيه الهادفة إلى إخراج حياتك الروحيَّة عن خطِّها الصحيح.

المحاربة الروحيَّة الدفاعيَّة: هل تتذكَّر متى تعرَّض الربُّ يسوع لتجارب الشيطان؟ يروقني أن أحسب أنَّ المسيح كان لتوِّه يقضي وقت معيَّة قارئًا في سفر التثنية. فمن الجليِّ أنَّ الآيات التي استشهد بها في دفاعه ضدَّ إبليس موجودة في ذلك السفر. إذ إنَّ ربَّنا الكريم اقتبس ثلاث مرّات كلمة الله المكتوبة: **مكتوبٌ... مكتوبٌ... مكتوبٌ... (متَّى ٤: ٤ و٧ و١٠)**. فهي هذه التجربة ما يمكِّننا من أن نفهم ما عناه ناظم المزمور لمَّا كتب: **قد عظَّمت كلمتك على كلِّ اسْمك (المزمور ١٣٨: ٢)**. أجَل، إنَّ مدفعيَّة كلمة الله المقتدرةَ قد حملت الشيطان على الفرار من أمام المسيح!

وبالمِثل، فإن شئتَ أن تهزم إبليس، يجب عليك أنت أيضًا أن تتعلَّم كيف تستخدم الكتاب المقدَّس سلاحًا لك في المحاربة الدفاعيَّة. فحين يغرس الشيطان اقتراحاته الفاسدة في ذهنك، ينبغي أن تلجأ دائمًا إلى كلمة الله. ومن شأن وقت المعيَّة الثابت أن يضمن سُكنى كلمة الله الحيَّة في قلبك لاستعمالها في ساعة كهذه.

والقصيدة التالية «مكايد إبليس»، المجهول مؤلِّفُها، متجذِّرةٌ في هذا الحقِّ الكتابيِّ المذكور في الأصحاح السادس من رسالة أفسس.

مكايد إبليس

خُضتُ اليوم معركةً شرِسة،
داخلَ مخدع صلاتي.

مضيتُ لأقابلَ الله وأُكلِّمَهُ،
لكنْ وجدتُ الشيطان هناك.
فوَسْوسَ قائلاً: «لا تقدر أن تصلِّي حقًّا،
فأنت قدِ انهزمتَ من زمان.
قد تتلو كلامًا وأنت على ركبتيك،
لكنّك لن تقدر أن تُصلِّي،
وأنت بهذا عليم!»
عندئذٍ سحبتُ خوذتي نزولاً
حتَّى غطَّت أُذُنيَّ،
فوجدتُ أنَّها ساعدتني على إخراس صوته،
وأيضًا على تسكين مخاوفي.
وتفقَّدتُ باقي سلاحي،
فإذا قدماي مُنتعِلتانِ السلام،
وحقواي مشدودان بمنطقة الحقّ،
وسيفي كلمةُ الله؛
وإذا درعُ البّر ما تزال على صدري،
كي تحمي محبَّة قلبي،
وترسُ إيماني سليمٌ تمامًا،
يردُّ سهام الشرّير الملتهبة.
إذ ذاك دعوتُ إلى الله باسمِ المسيح
ونعمتُ في حِمَى الدمِ الكريم،

فيما انكفأ الشيطانُ يُجَرجِر خيبة خزيه...
فقابلتُ الله وكلَّمتُه!

المحاربة الروحيَّة الهجوميَّة: غير أنَّ الانتصارات الكاملة تقتضي ما يتعدّى الاستراتيجيَّة الدفاعيَّة! وفي خارج أبوابنا عالَمٌ يُعاني، يُقيم فيه مليارات من الناس الأعزّاء الذين لأجلهم مات المسيح. ففي كلِّ مكانٍ يُقاسي الرجال والنساء، الصغار والكبار، آلامًا شتَّى، وكثيرون منهم أعماهم الشيطان وقيَّدهم. وأعتقد أنَّ الشيطان يعرف أنَّ له زمانًا يسيرًا بعد، ولهذا السبب يقوم بآخرِ تحرُّكاته الخبيثة ليضمن للبشر المائتين أبديَّة منفصلة عن الله.

ولئن كنَّا نقرأ أنَّ الله أعدَّ «بحيرة النار» لإبليس وملائكته الأشرار، فعلينا أن نتذكّر أنَّ الله لم يعدَّ بحيرة النار تلك للبشر. كلاّ! فمن أجل جميع هؤلاء البشر الهالكين مات المسيح. ولكنَّ الشيطان، في غمرة غضبه وحقده على كلِّ ما هو مقدَّس وصالح، يريد أن يجرَّ معه أكبر عددٍ ممكن من النفوس للانضمام إليه في مكابدة المصير الأبديِّ الرهيب. وفي خضمِّ هذه المحاربة لأجل النفوس الهالكة، يستمرُّ المسيح في أن **يطلب ويخلِّص ما قد هلك** (**لوقا ١٩: ١٠**) من خلال المؤمنين الذين يضعون أنفسهم تحت تصرُّفه.

هل تساءلتَ مرَّةً لماذا لا يستطيع الأذكياء في أمور الحياة أن يفهموا رسالة الإنجيل البسيطة؟ يُفيدنا الكتاب المقدَّس مَن هو الذي يُبلبِل تفكيرهم، ولماذا يصعب جدًّا على بعضٍ من غير المؤمنين أن يصيروا مؤمنين:

ولكنْ إن كان إنجيلنا مكتومًا، فإنَّما هو مكتوم في الهالكين، الذين فيهم إله هذا الدهر [الشيطان] **قد أعمى أذهان غير المؤمنين، لئلاَّ تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله (٢كورنثوس ٤: ٣ و٤).**

فمَن يمنع نور محبَّة الله وحقِّه أن يخترق ذهنَ غير المؤمن؟ إنَّه إبليس! فهل تنظر إلى هذا الأمر بعين الاعتبار حين تُصلِّي لأجل خلاص الناس؟ وفيما تُصلِّي، علينا أن نحرِّر أذهان غير المؤمنين من خداع الشيطان، وذلك بأن ندعو باسْم يسوع الكلِّي القدرة. عن هذا الاسم العجيب والقدير والظافر، كتب «تشارلز وسلي»:

يسوع! يا لهُ من اسمٍ سما فوق الجميع،

في الجحيم أو على الأرض أو في السماء!

أمامه تخرُّ الملائكةُ والبشر،

ومنه تُولّي أرواحُ الشرِّ هاربةً خوفًا!

بلى، إنَّ النُصرة على الشيطان وجميع أجناده الشرّيرة ضُمِن إلى الأبد في صليب الجلجثة: **لأجل هذا أُظهِر ابن الله، لكي ينقض أعمال إبليس (١يوحنّا ٣: ٨).** هللويا! إنَّنا لا نخوض معركةً خاسرة. كلاَّ! فنحن إنَّما نختبر مجدَّدًا الانتصار الذي أُحرز لأجلنا مرَّةً وإلى الأبد منذ ألفي سنة، والذي لا يمكن أن يُنقَض!

في لعبة الشطرنج يُتاح لك أن تقوم بنقلة نهائيّة حاسمة تنتصر فيها على خصمك. ومن هذه الزاوية تكون هزيمته مضمونة. ولكن إذا كان خصمك عنيدًا، فمع أنَّه لا سبيلَ إلى نقض هزيمته، يستطيع مع ذلك أن

يؤخِّر اللحظة التي ينهزم فيها.

هكذا حال الشيطان. فمع أنَّ لا سبيل له كي يتمكَّن من كسب معركته، فهو يحاول أن يُرجئ بقدْر الإمكان وقتَ هزيمته النهائيَّة المحتوم عند الله. وشكرًا لله على أنَّ الشيطان، في أثناء المدَّة القصيرة قبل تقييده بالسلاسل، ليس فقط عدوًّا مهزومًا بل هو أيضًا عدوٌّ مكشوف. فالكتاب المقدّس يقول لنا إنّنا **لا نجهل أفكاره (٢كورنثوس ٢: ١١)**. ومعرفة استراتيجيَّة العدوّ تعني كسب التفوُّق في المعركة!

وقد ذكر الرسول يوحنّا نصرة القدّيسين الذين غلبوا إبليس، والوسيلةَ التي بها صار انتصار الربِّ عليه نصرًا لهم: **وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم، ولم يحبُّوا حياتهم حتَّى الموت (رؤيا ١٢: ١١)**. ونحن لا نحبُّ حياتنا حتَّى الموت، لأنَّه قد سبق **أنَّ إنساننا العتيق قد صُلِب مع المسيح (رومية ٦: ٦)**.

نعم، إنَّ تطهيرنا بالدم، واعترافنا بأفواهنا، وصلْبَنا مع المسيح، لَهِيَ ما يوضح بغير أدنى لَبس سند ملكيَّتنا للنُصرة في الربّ يسوع على قوّات جهنَّم. هللويّا!

فرحًا معي! إنَّ الربَّ يسوع قد أعدَّ لنا كلَّ إعداد كي نصير مؤمنين ناضجين غالبين. ولكنْ في الوقت نفسه علينا أن نتنبَّه إلى أنَّنا إذا لم نكن راغبين في الترفُّع من روضة الأطفال في أمور الله فإنَّ الربَّ لن يفرض النُضج الروحيَّ علينا فرضًا. فإنَّ طاقة استيعابنا الروحيِّ من جهته محدودةٌ بإطار الزمن ما دُمنا هنا على الأرض. ووفقًا لمدى نضجنا في الربّ، سوف نتمتَّع بتلك الطاقة إلى الأبد في شركة معه وثيقةٍ كاملة لا تشوبها شائبة، وذلك عند وصولنا إلى السماء.

فحصُ نفسٍ روحيٌّ

١ فيمَ أفكِّر وأنا أخلِد إلى النوم؟

٢ حين أقرأ الكتاب المقدَّس، هل أتوقَّع سماع صوت الله؟

٣ حين أقرأ الكتاب المقدَّس، أأكون على استعداد للتصرُّف بحسْبما يقوله الله؟

٤ أما تزال حياتي تُفسَّر بلغة «ذاتي»، أم أنَّها تُفسَّر بلغة المسيح الساكن فيَّ (غلاطية ٢: ٢٠)؟

٥ أأنا شخصٌ مستقلٌّ ذاتيًّا؟ إن كان نعم، فهل أنا راغبٌ في التخلِّي عن كبريائي وفي ممارسة الاتّكال الكلِّيِّ على الله؟

٦ هل أعي أنَّ التعبُّد لإلهي هو أسمى نشاط يمكن أن أنهمك فيه؟

٧ هل تمكَّن الشيطان من إيجاد مقرٍّ إقامة له في حياتي ولو إلى حين؟

٨ أأحتاج شخصيًّا لأنْ أُخصِّص لنفسي انتصار المسيح على الشيطان؟

لقد وجد إيماني مقرَّ راحته،
لا في شعارٍ ولا في إقرار.
فأنا أثق بالحيِّ إلى الأبد،
مَن جراحُه عنّي تشفعُ بي.
قلبي مُتّكلٌ على الكلمة،
كلمةِ الله المكتوبة،
على الخلاص بدمهِ الثمين.
لا تُعوزني حجَّةٌ أخرى،
لا تُعوزني بَيِّنةٌ أقوى:
يكفي أنَّ المسيح قد مات،
وأنّه قد مات عنّي!

– لِدي هـ. إدمُنْدز –

عاملُ الإيمان

تصوَّر في ذهنك رجلاً تواجهه مهمَّة عبور نهر هائج للوصول إلى صديقه على الضفَّة الأخرى. وهو لا يملك قاربًا، بل طيّارة ورقيَّة وبضعة خيوط كلٌّ منها أقوى من الآخر، بحيث يكون الأخير حبلاً قويًّا. فإذ يستعمل الرجل أرفع خيط، يُطيّر طيّارة الورق ويتحكَّم بها بدقَّة حتَّى تحطَّ بين يدي صديقه على ضفّة النهر الثانية. ثمَّ يربط بخيط الطيّارة الأصليِّ خيطًا أقوى، ثمَّ آخر أقوى، إلى أن يمتدَّ الحبلُ نفسُه فوق النهر المتعذِّر عبورُه. وبعد أن يتمَّ ربط الحبل بشجرة على كلتا الضفَّتين، يصير الرجل قادرًا على أن يعبر النهر بسلامة حتَّى يصل إلى صديقه.

بوصفك ولدًا من أولاد الله مولودًا من جديد، فقد سبق لك أن وضعتَ إيمانك في موت الربِّ يسوع المسيح باعتباره تعويضَ الله المُحبّ عن خطاياك. ولكنْ إذ تباشر قراءة الكتاب المقدّس، قد يكون إيمانكَ ضعيفًا مثل الخيط الأوَّل. غير أنَّ مجرَّد ذلك الخيط كان كافيًا للحفاظ على الصلة بالطيّارة وهي تعبر فوق النهر! إنَّما ما دام **الإيمان بالخبر، والخبر بكلمة الله** (**رومية ١٠: ١٧**)، فسوف يتبيّن لك أنَّه فيما تواظب على قراءة كلمة الله والتمسُّك بوعوده الثمينة سيتقوَّى إيمانك. ففي قصْد الله أن يكون كلٌّ واحد من أولاده قويًّا في الإيمان، الأمرُ الذي يقتضي ضمنًا

علاقةَ «معيَّة» وثيقةً بين كلِّ فرد من أولاد الله وأبيهم السماويّ.

وفي الكتاب المقدّس، يُبيّن يهوذا كم هو ضروريٌّ أن ننبنيَ على الأساس الأوَّليّ للإيمان الخلاصيّ: **وأمّا أنتم، أيُّها الأحباء، فابنوا أنفسكم على إيمانكم الأقدس (يهوذا ٢٠)**.

وإليك صياغة الفكرة حسب الترجمة الموسَّعة:

وأمّا أنتم، أيُّها الأحبّاء، فابنوا أنفسكم (مؤسَّسين) **على إيمانكم الأقدس** (أحرِزوا تقدُّمًا، ارتفعوا كالصَّرح أعلى فأعلى) **مصلّين في الروح القدس، واحفظوا** (واحرسوا) **أنفسكم في محبَّة الله، منتظرين** (بتوقُّع وترقُّب وصبر) **رحمة ربِّنا يسوع المسيح** (التي ستوصلكم) **إلى الحياة الأبديّة... وأبدوا الرحمة لبعض، للذين يتزعزعون ويشكّون. واجتهدوا لتخليص الآخرين مختطفين** (إيّاهم) **من النار. وأشفقوا على بعض** (إنّما) **بخوف؛ كارهين حتَّى الثوب المدنَّس من الجسد والملوَّث بشهوانيَّته (يهوذا ٢٠-٢٣)**.

فهذه الآيات تُشدِّد على أنَّه ينبغي أن نبني أنفسنا روحيًّا على أساس الإيمان الخلاصيّ الراسخ (أي أن نُنمّي إيماننا ونعزِّزه)، وذلك **بأن نعيش حياةَ صلاة، ومحبَّة، ورجاءً حيًّا، ورحمة فعّالة، وربحًا للنفوس جادًّا**.

وكما نلتَ خلاصك هبةً مجّانيَّة بالإيمان، فكذلك حين تخصِّص لنفسك بالإيمان حياة الربِّ المُقام الكلِّيَّة الكفاية يستلم زِمام حياتك المسيحُ الساكنُ فيك. حقًّا، **البارُّ بالإيمان يحيا (رومية ١: ١٧؛ غلاطية ٣: ١١؛ عبرانيّين ١٠: ٣٨)**. فسواءٌ كنتَ في السماء أم فيما لا تزال على الأرض، يجب عليك أن تحيا بالإيمان، أي تعيش بالاتِّكال على الله وتصديق وعوده، وبوضع نفسك تحت تصرُّفه كي يُجريَ عمله من

خلالك. حتَّى بعدَ أن تصل إلى السماء سيكون إيمانك هو السبيل الذي به ستبتهج في فرحٍ وامتنان بمقاصد محبَّة الله، تلك المقاصدِ الأبديَّة التي سوف تفوق بكثيرٍ أيَّ شيء سيتمكَّن ذهنك المفديُّ من إدراكه.

وبينما أنت ما تزال في هذه الأرض، ينبغي لإيمانك الأصيل أن يظلَّ متّكلاً كلَّ حين على الربِّ يسوع المسيح كي يُجري فيك وبك ما لا يمكنك إنجازه البتَّة بأيَّة وسيلة أخرى. فبوصفنا أولادَ الله، ينبغي لكلٍّ منّا حتمًا أن ينمو في الإيمان. إذ يجب أن نتعلَّم الاتّكال بصورةٍ متزايدة على مُعطي الحياة ومُصمِّم مسيرتنا اليوميَّة.

غير أنَّنا كثيرًا جدًّا ما نركن إلى تفكيرنا البشريّ الذي من شأنه أن يسعى لاستبدال جملة أمور بالإيمان الأصيل. فإنَّ إستقلاليَّتنا البشريَّة ستُحاول أن تُحِلَّ محلَّ الإيمان خدمةً حماسيَّة، بل مُتفانية، للربّ. إلاَّ أنَّ الإيمان الحيَّ الحقيقيَّ ليس من الضروري أن يتبرهن بولاء المؤمن لبرنامجٍ ما، ولا بالتزامه تجاه واعظٍ ما، ولا أيضًا بتكرُّسه لاكتساب معرفة شاملة للكتاب المقدَّس. فلئن عكستِ اهتماماتٌ كهذه وجود إيمان أصيل أحيانًا، فمن الممكن أيضًا أن تُستخدم، تعمُّدًا أو سهوًا، كبديلٍ فتّاك – تحفزه الذات – من الإيمان الشخصيّ الحيويّ.

فالإيمان الحقيقيُّ مرتبط مباشرةً باتّكالنا الواثق على الربّ يسوع المسيح القائم من بين الأموات. ولكنَّ المؤسف أنَّ كثيرين من المؤمنين يتصوّرون أنّهم يستطيعون أن ينجحوا في الحياة باستخدام مواهبهم، أو توظيف شخصيّاتهم المُناورة، أو حتّى الاعتماد على موارد حساباتهم المصرفيَّة. ولكنَّ الكتابَ المقدَّس يفيدنا بوضوحٍ أنَّنا نحن المؤمنين

المولودين ثانيّةً، حتَّى ننجح فعلاً، يجب أن نُخضِع حياتنا لسيطرة الروح القدس. فإن كنّا لا نمارس الإيمان الواثق بالله، يُعلِّمنا الكتاب المقدَّس أنَّ كلَّ عملنا الذي نستبدله في منتهى الغباوة بقدرة الله المقويّة سوف يتبدَّد أخيرًا. ثمَّ إنَّ فعّاليَّتنا بوصْفنا مؤمنين لن يُحدِّدها مدى **حماستنا** في ما نفعله نحن أنفسُنا، بل كونُ الإيمان الصحيح هو المصدرَ المحرِّك لجميع نشاطاتنا أو عدمُ كونه كذلك.

فأيُّ شيء في حياتك، ما عدا محبَّة الله يؤتيك شعورًا بالأمان أو بالأهميَّة – أمالك كان أم علمك أم أصدقاءك أم نفوذك أم عملك أم حتَّى مظهرك الطبيعيّ – إنَّما هو مؤشِّر على أنّك لستَ تحيا بالإيمان. فينبغي أن يكون أمانك الوحيد وحيثيَّتك الوحيدة في الحياة مُتواجِدَين في إلهك وفاديك. وعليه، فإذا كنتَ لا تحيا بالإيمان في أثناء رحلتك الأرضيَّة، تكونُ قد حُرمتَ الفرحَ المتواصل بحضور الله في حياتك، وخدمةَ محبَّته من خلالك. لأنْ **كلُّ ما ليس من الإيمان فهو خطيَّة (رومية ١٤: ٢٣)**.

وحقًّا عبَّر «جي كايث» عن وعيه لأهميَّة الاعتذاء بكلمة الله في حفْز الإيمان، إذ كتب:

يا له من أساس متين

قد وُضِع لإيمانكم،

أيا قدّيسي الربّ،

في كلمته السامية!

وبغير إدراك صوت الله في قلوبنا وحياتنا، لا يمكن أن يوجَد هذا الأساس للنموِّ الروحيّ، كما لا يمكن أن يتوطّد إلاَّ إذا عملنا بالخطّة الإلهيَّة القاضية بإمضاء وقتٍ مع المخلِّص وحدَنا، معه في الشركة الوثيقة والتواصُل الودود.

إن الإيمان هو المُحرِّك الذي يولِّد شركة حيَّة مع الله.

أتذكَّر أنَّني منذ عدَّة سنين تكلَّمتُ في موضوع النهضة الروحيَّة إلى نحو مئةٍ من خدّام الربّ في بريطانيا. وقد عمل الله بيننا بقوَّة عظيمة كما حملَنا على فحص قلوبنا في حضرته. وفي فرصةٍ عامَّة للصلاة، تقدَّم أحد الخدّام واقفًا، وبانكسارٍ قلبيّ وعينين مغرورقتين صلّى صلاةً من هذا القبيل: «يا ربّ، أعترف بأنَّني لمّا تقدَّمت إخوتي هؤلاء بالصلاة في ما مضى، فكثيرًا ما كنتُ واعيًا لهم وللعقيدة اللاهوتيَّة السليمة أكثر ممّا كنتُ واعيًا حضورك المقدَّس...»

إنَّ قلوبنا خدّاعة جدًّا، حتَّى إنَّه حينما نصلِّي يمكن أن نكون مختبئين وراء كلماتنا، بدل أن نحاول بإخلاصٍ أن نكشف حاجات قلوبنا الحقيقيَّة أمام أبينا السماويّ. فأن نتلو صلاةً ما، أو أن نُصلّي على سبيل العادة الروتينيَّة، لا يعني بالضرورة أنَّنا نُصلّي حقًّا. وإنَّما حين تكون قلوبنا متناغمةً مع ربّنا في شفافية نوره السرمديّ وقداسته الكاملة، حينئذٍ فقط يغمر السرور الإلهيُّ قلبه الكبير من جرّاء وقت شركتنا معه.

وإنَّها لفكرةٌ مهيبة أن نفكِّر بأنَّ خاطئًا محتاجًا يمكن أن يؤتيَ إلهًا قدُّوسًا أيَّ شعور بالرضى. ولكنَّ الكتاب المقدّس يُفيدنا أنَّ الله خلق البشر لأجل هذه الغاية بالذات: أن يأتيَ بالتمجيد لنفسه! فسواءٌ راقنا

الأمر أم لم يرُقنا، كلُّ واحدٍ منّا موجودٌ لمجد إلهٍ قدُّوس!

لتسلكوا كما يحقُّ للربّ في كلِّ رضًى (له) (**كولوسّي ١: ١٠**): هذه كانت رغبة قلب بولس الشديدة لكنيسة كولوسّي. وقد ترجم الأسقف «هاندلي مول» العبارة «في كلِّ رضًى» هكذا: «حسب كلِّ أمرٍ تتوقَّعه مشيئتُه.» فعندما نقول لشخصٍ ما مثلاً: «إفعل ما يرضيك،» نُعبِّر بهذا القول عن رغبتنا في تفضيل مشيئة شخصٍ آخر على مشيئتنا الخاصة.

فأن نحاول إرضاء أنفسنا، بدل سعينا لإرضاء إلهنا، يعني أن نصدم أقدامنا بكلِّ صخرة وننطح برؤوسنا كلَّ حائط ونتعثَّر بكلِّ عائقٍ على درب الحياة. ولكنْ يا له من فرحٍ يغمر قلب كلِّ مؤمن، كما يغمر قلبَ الله، حين يتواصل الواحدُ من أولاد الله مع خالقه في نور مجده ومحبَّته الشفّاف!

وممّا يُساعِدنا أن نتنبَّه إلى أنَّ الكتاب المقدّس يكشف أنَّ بين «الإيمان» و«إرضاء الله» ترابُطًا محدّدًا. والبنية اللغوية التي كُتبت فيها الآية التالية تجعل الترابُط بين الإيمان وإرضاء الله مُشدَّدًا عليه ومؤكَّدًا على نحوٍ أقوى وأوفى: **ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه**. فهذه الآية تبدأ بالنفي والحصر، ثمَّ تُردِف عبارةً إيجابيَّة مُثبَتة لا شكَّ أنّها تؤتي كلَّ مؤمنٍ حقيقيّ عزاءً عظيمًا وتشجيعًا كبيرًا: **...لأنَّه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنَّه موجود، وأنَّه يجازي الذين يطلبونه (عبرانيّين ١١: ٦)**.

ويتعذّر التعبير تمامًا عن سموِّ المكافآت الروحيَّة التي يُغدِقها الله بنعمته السخيَّة على كلِّ شخص يعيش في شركة وثيقة مع مخلِّصه وربّه. فهذه البركات لا تُفهم حقًّا إلاَّ إذا تمَّ اختبارها شخصيًّا. أما المفتاح إلى

الشركة الحيَّة مع الله، والذي لا بدَّ أن يؤتيه الرضى ويؤتي أولاده فرحًا عظيمًا، فما هو إلاّ الإيمان.

نعم، إنَّ الإيمان هو القناة التي بواسطتها ينقل الروح القُدس نصرة الربِّ المُقام من الموت حيًّا إلى كلِّ واحدٍ من أولاد الله.

ومثلما سبق أن أشرنا، فمن المحتمل تمامًا – واأسفاه! – أن تنكشف لنا وعودُ الله، إمّا بالاستماع إلى واعظٍ ما وإمّا بقراءة كلمة الله، ومع ذلك لا نجديها أيَّ نفع روحيّ: **لكنْ لم تنفع كلمة الخبر أولئك، إذ لم تكن ممتزجة بالإيمان في الذين سمعوا (عبرانيّين ٤: ٢).**

فإذْ تُحرَّك كلمة الله لتنزل من الرأس إلى القلب بملعقة الإيمان المازجة، إذ ذاك فقط تصير قراءة كلمة الله نافعة. في هذه الحالة يُسبِغ الروحُ القدس نعمةَ ربّنا يسوع المسيح الواهبة للقوَّة على حياتنا، بحيث نتمكَّن من اغتنام كلِّ فرصة لخدمة الرب، وبحيث نختبر قدرة الربّ المقويَّة لمواجهة كل مشكلة من مشاكل الحياة.

غير أنَّ ثمَّة أمرًا يقينًا لا مفرَّ منه، وهو أنَّ كلَّ مؤمن حقيقيّ لا بدَّ أن يجتاز أيّامَ محنةٍ وتجربةٍ قاسيةً. فالشيطان بذاته سوف يستخدم «العالم» دائمًا بمُغرياته ومُغوياته كي يثنينا عن حياة الشركة مع الربّ يومًا فيومًا. إذ ليس أشنع عند الشيطان من ولدٍ من أولاد الله على تواصُل حيويّ مع فاديه وسيِّده الربّ. ولذلك لا يُفاجئنا أن يكون الشرّير مستعدًّا للقيام بأيِّ جهد لإبعاد المؤمنين المولودين ثانيةً عن خالقهم سعيًا منه للحيلولة دون اختبارهم أوقاتَ معيّة بنّاءة للإيمان.

في نظر الساذج روحيًّا، يبدو العالم المادِّيُّ أنَّه الحقيقة الوحيدة في الحياة. ولكنَّ العكس تمامًا هو الصحيح. فإنّما العالم الروحيُّ هو حقًّا ما يشتمل على الحقيقة المُطلقة، **لأنَّ كلَّ ما في العالم، شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظُّم المعيشة، ليس من الآب بل من العالم (١يوحنّا ٢: ١٦)**. ولمَّا كان من السهل جدًّا أن يُضلِّل الناس، لا يلقى إبليس صعوبةً تُذكر في استخدام أساليبه الماكرة لإغواء المؤمن بالمسيح.

ويُفيدنا الكتاب المقدّس أنَّنا نُجرَّب بواسطة «شهوة الجسد» (متعة بغير مسؤوليَّة)، و«شهوة العيون» (مُقتنيات بغير مسؤولية)، و«تعظُّم المعيشة» (سلطة بغير مسؤوليَّة). فالشيطان يعرف جميع حِيَل التدخُّل في ما قد خطّطه الله لخيرنا، ولسوف يفعل أيَّ شيء ليُعيقنا عن أن نختلي وحدنا مع ربّنا. ذلك أنَّ الشرّير يعرف أنَّنا إذا كنّا على أوثق تواصُل مع إلهنا فسوف ننمو روحيًّا وبذلك نؤتي أبانا السماويَّ سرورًا مضاعفًا.

شهوة الجسد: بواسطة العالم الحاضر، الفاسد خلقيًّا على نحو قبيح، والموبوء بالنجاسة الجنسيّة بشكل فاضح، يُلهِب الشيطان رغبةً الجسد الشهوانيَّة. فإنَّ عدوَّ نفوسنا يلقى سبيلاً ممهَّدًا إلى حياة الناس المستغرقين في ما هو حسّيٌّ ودنيويٌّ ومادِّيّ. ولكنَّ أولئك الذين خدعهم الشيطان بوسوساته الباطلة سرعان ما يجدون أنَّ فُقاعة تمتُّع الخطيَّة قد تلاشت غيرَ تاركةٍ إلاَّ إحساسًا بالخواء والخزي!

شهوة العيون: إذا كنّا مُنجذِبين نحو عالم الروح التجاريَّة الغَرّار، ونحسد الآخرين على ما يملكونه، يتمكَّن الشيطان من شنِّ هجماته القاسية علينا ومواصلتها. فالكذّاب الأكبر يهمس قائلاً لك: «لو

حصلتَ على ساعةٍ جديدة، أو قطعة أرضٍ، أو منزلٍ أكبر، لغدَوتَ سعيدًا!» ولكنْ لأنَّه **ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكلِّ كلمة تخرج من فم الله (متّى ٤: ٤)**، فسرعان ما يتبيَّن لنا، بعدما انغمسْنا في آخِر أهوائنا، أنَّ مُمتلكاتنا الجديدة لا تؤتينا شِبَعًا دائمًا.

تعظُّم المعيشة: كذلك أيضًا ينفتح الباب على مصراعيه أمام مناورات الشيطان المدمِّرة بفعل تكبُّرنا وأنانيَّتنا وشعورنا الزائف بالاكتفاء الذاتيّ. غير أنَّ الله يمقت الكبرياء مهما كان شكلها!

وبعد، أفليس وثوقُنا بقدرتنا الذاتيَّة على التحكُّم بمصيرنا هو نقيضَ الإيمان، ما دام الإيمان هو الثقة بالربِّ يسوع والاتّكال عليه؟ وكما سبق أن لاحظنا، فقد قال الله إنَّ الحلَّ الوحيد لتعظُّم المعيشة هو هذا: **إتَّضعوا قدّام الربّ (يعقوب ٤: ١٠)**. فإقرارُك في اتّضاعٍ باتّكالك على الله القدير هو السبيل الواحد إلى إقفال الباب في وجه الشيطان حين يُوسوِس إليك في خُبث بأنّك مُكتفٍ ذاتيًّا. واتّكالك هذا، الذي هو إيمان، سوف يؤتيك الغَلَبة. ذلك لأنْ **هذه هي الغَلَبة التي تغلب العالم: إيمانُنا (١يوحنّا ٥: ٤)**.

ولكنْ قبل أن يُتاح لك الدخول الكامل إلى رحاب غَلَبة الإيمان الظافر (إذْ يقتربُ إليك الشيطان من طريق كلِّ ما في العالم)، من المهمِّ أن تتعلَّم أنتَ أيضًا درسًا علَّمه الربُّ يسوع لتلاميذه. فإنَّه حذَّرهم من عائق كبير آخر في طريق الإيمان الأصيل، إذ سأل: **كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدًا بعضكم من بعض، والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه؟ (يوحنّا ٥: ٤٤)**. بهذه الكلمات نبّه الربُّ يسوع تلاميذه

بجدِّيَّة إلى أنَّ الإيمان لن يتواجد البتَّة مع رغبةٍ ماكرة في تلقّي مدح الناس وتملُّقهم. وفي الواقع أنَّ شهوة الاستحسان هي مشكلة كبيرة لمؤمنين كثيرين. على أنَّ رضى مجتمع رافضٍ للمسيح ليس بيّنةً على التلمذة المسيحيَّة الأصيلة.

وعندما تتمتَّع بوقت معيّتك اليوميّ، فلا بدَّ أن ينمو إيمانك. ثمَّ عندما تواجه في ما بعدُ اختبارات الحياة وفُرَصها، فستعرف كيف تمارس ذلك الإيمان الغالب النابض.

فحصُ نفسٍ روحيٌّ

١ في نشاطاتي اليوميَّة، هل أتمتَّع بإيمانٍ فعّال؟

٢ أأرى في كلِّ فرصةٍ مشكلةً، أم في كلِّ مشكلةٍ فرصةً لاختبار كفاية المسيح؟

٣ أأرغب في تقدُّم قضيَّة الله، أم رغبتي أن أعمل شخصيًّا على تقدُّم قضيَّته؟

٤ هل حياتي صامدة في وجه الذعر لأنّي أُمارس اتّكالاً يوميًّا على الربّ؟

يا ربُّ، كلِّمني لكي أتكلَّمَ
بأصداءٍ من نبرتك حيَّة،
وكما فتَّشتَ أنتَ
هكذا دعني أفتِّش أنا
عن خرافك الضالَّة،
في وحدتها ووحشتها!

يا ربُّ، علِّمني كي أعلِّمَ أنا
ما بلَّغتَه من حقائقَ ثمينة،
واجعلْ كلماتي مجنَّحة
حتَّى تصل إلى الأعماق الخفيَّة
في قلوبٍ غير قليلة.

يا ربُّ، املائْني بكلِّ ملئكَ،
حتَّى يفيضَ قلبي بفضلكَ،
فأقدرَ أن أعلنَ وأبدي،
بفكرٍ متوهِّج وكلامٍ متألّق،
حبَّك الفائق
وسُبحَك اللائق!

– فرانسِس رِدلي هافرغال –

وقتٌ للتخبير

بعدما تكلَّمتُ ذاتَ مساء في أحد الاجتماعات، تقدَّم منّي أحدُ الآباء وسألني أن أُصلّيَ لأجله. وكان الله قد باركنا بقوَّة غير معتادة. وأخبرني الأبُ أنَّه كان يعاني مشكلة في الشهادة لأصدقائه وزملائه. وكما أفعل غالبًا حين أنوي مساعدة أحد، طلبتُ إلى الربِّ صامتًا إمدادي بالتمييز لعلّي ألمس الحاجة الحقيقيَّة في حياة هذا الرجل. وألفيتُ نفسي مُجيبًا: «لا أعتقد أنَّ هذه هي المشكلة الحقيقيَّة. هلاَّ تركع معي الآن وتطلب أن يُريك الله سبب وجود هذه المشكلة لديك من جهة الشهادة؟» وبغير تردُّد، جثا الرجل إلى جانبي مُصلِّيًا.

وفيما الرجل يُصلِّي، بدا لي أن الربَّ نفسَه كان يكشف مشكلة أكبر من صمت الشفَتين. فبانسحاقٍ شديد، أخذ صاحبنا يُخبر الربَّ أيَّ طاغيةٍ كان في منزله وكيف كان على الخصوص مستبدًّا في معاملة أولاده. وبتوبةٍ قلبيَّة صادقة، التمسَ من الربِّ أن يغفر له.

ذلك المساءَ، لم نتباحث في مشكلة الرجل مع الشهادة، بعدما أعلن الربُّ يسوع ذاته له بطريقةٍ جديدة وحيَّة. وفي المساء التالي جاء إلى الاجتماع بوجهٍ منفرج الأسارير، وأخبرني بابتهاج: «لم أتمكَّن من السكوت طولَ النهار عن تخبير الآخرين بخلاص المسيح!»

لا يطلب إلينا الكتابُ المقدّس، في أيِّ موضع منه، أن علينا تقديم «خطّة الخلاص» في عرضٍ مُحكَم إلى غير المؤمنين! ولكنْ يحثُّنا الكتاب على السير في شركة دائمة مع الربّ يسوع المسيح، حتَّى إذا قدَّمْنا للآخرين رسالة الإنجيل فلا بُدَّ لفيض محبَّته من خلالنا أن يعطف قلوبهم للإصغاء إلى كلمة الله.

ولكنْ في تلك الأيّام التي **لا تكون** قلوبنا فيها متناغمةً مع الربّ في شركةْ حيَّة، سيتبيَّن لنا أنَّ شهادتنا **ليست** فعّالة ومثمرة على نحوٍ لافت. وبالحقيقة أنَّ شفاهنا في مثل تلك الأيّام ستكون مُطبَقة عن تبلِيغ كلمة الله إلى الآخرين، ولن نتمكَّن من إعلان الربّ بصورة تلقائيَّة للعالم الرافض للمسيح حوالَينا.

فاستهلال كلِّ نهار مع الله **بوقتٍ معيَّة** حيويّ هو أوَّل خطوة في مساعدتك على التخلُّص من تلك العوائق التي يسهل جدًّا أن تعترض في السبيل حين تُتاح لك الفرصة **لتخبير** غير المؤمنين عن الربِّ يسوع المسيح. والفرق شاسعٌ بين اختبار حياة مثمرة روحيًّا اختبارًا أصيلاً في عالمٍ فاجر وبين كون المرء «بائع بشارة!» كلاّ، ليس المؤمن مكلَّفًا أن يقف في العالم كي يقول كلمات معيَّنة **تبدو** مؤدّيةً الشهادة للمسيح. بل إنَّ في وسع المسيحيِّ المولود ثانيةً أن يتيقَّن بأنَّه حقًّا في المسيح، ومن هذا الموقع يسرُّه أن يتحدَّث عن الربِّ يسوع.

فكما قال الربُّ لتلاميذه: **الذي يثبت فيَّ، وأنا فيه، هذا يأتي بثمر كثير، لأنَّكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا (يوحنّا ١٥: ٥)**. إذًا، مسؤوليَّتنا أن نثبت فيه وأن نخبِّر الآخرين عنه؛ أمّا الإثمار فمسؤوليَّته هو!

بعد يوم الخمسين، لم يستطع التلاميذ أن يتمالكوا حماستهم وبهجتهم، بعدما سبق لهم أن قابلوا ربَّهم المُقام وحادثوه. فحيثما ذهبوا حدَّثوا الجميع – حتَّى الذين كانوا مُعادين لشخص المسيح – **بعظائم الله (أعمال ٢: ١١)**. وإذ أثاروا فضول سامعيهم، اجتمع آلافُ الناس من جرّاء ذلك ليسمعوا بطرس يعظ علنًا في موضوع ربوبيَّة المسيح. وما كاد بطرس يُنهي كلامه، حتَّى وقع على الجمهور تبكيتٌ شديد على الخطيَّة الشخصيَّة. فإذا أولئك الذين وقعت عليهم منذ عهد قريب مسؤوليَّة صلب المسيح يسألون متحسِّرين: **ماذا نصنع، أيُّها الرجال الإخوة؟ (أعمال ٢: ٣٧)**. وفي ذلك اليوم تضافرت شهادة التلاميذ الشخصيَّةُ وموعظة بطرس الجهاريَّة لجَنْي حصادٍ وفير من نفوس المخلَّصين!

وبينما كان التلاميذ في ما بعد عائشين وسط بيئةٍ معادية، الْتقَوا الله في اجتماع صلاةٍ نابضٍ بالحياة. ذلك أنَّ «رجال الدين» الذين كانوا يبغضون التلاميذ ورسالتهم أمروهم بالكفِّ عن التكلُّم باسْمِ يسوع. وقبل ذلك بزمن، لم يكن الربُّ يسوع، في العلِّيَّة، قد علَّم التلاميذ كيف يردُّون الشهادة له بواسطة دروسٍ منهجيَّة في التبشير الشخصيّ. غير أنَّ هؤلاء المؤمنين المتحمِّسين، وقد باتوا الآن مملوئين بالروح القدس، أجابوا تلقائيًّا: **نحن لا يمكننا أن لا نتكلَّم بما رأينا وسمعنا (أعمال ٤: ٢٠)**. وسبق ذلك أيضًا مثولهُم في محضر الله. فقد كانت قلوبهم تضطرم بحقيقة المسيح المُقام من بين الأموات، وما كان في وسعهم أن يلزموا الصمت!

في أوائل العقد السابع من القرن العشرين، ذهبنا أنا و«دوروثي» في جولةِ خدمة وراءَ ما كان يُسمَّى آنذاك «الستار الحديديّ». وإذ استفسرتُ عن صعوبات الرعاية في ظلِّ نظام استبداديّ، أجابني واحدٌ من الرعاة الأمناء: «نحن الآن أقلُّ عددًا. ولكنَّنا على الأقلِّ نعرف مَن نحن. فالذين ثبتوا منّا يعرفون حقًّا المسيح القائم وأنَّنا لا نُقهَر!» (بعضُ قرّائي يُعانون مثل هذه المِحَن فعلاً، ولكنْ بالنظر إلى سيرورة الأمور، فإن تأنّي الربُّ فكثيرون من الباقين فينا سوف يُدعَون أيضًا إلى التضحية بالكثير جدًّا من أجل المسيح بطرق ما كنّا نعتقد البتَّة أنَّها ممكنة الحصول).

منذ عهدٍ قريب، دوَّنَت «دوروثي» في مفكِّرة **وقت المعيَّة** الخاصّ بها: «إنَّما ينبغي لكلفة موت الربّ أن تُحَسَّ مع كلِّ نَفَس إن كان لروحه أن يجري فيَّ.» ومن المؤكَّد أنَّ التلاميذ الأوائل دفعوا ثمنًا باهظًا لقاء شهادتهم الجريئة. لكنَّهم إذ هُدِّدوا بالحبس من أجل التكلُّم عن المسيح، اجتمعوا معًا للصلاة. من ثَمَّ نقرأ: **امتلأ الجميع من الروح القدس، وكانوا يتكلَّمون بكلام الله بمجاهرة (أعمال ٤: ٣١).**

فإنَّ التبشير الفعّال ينتج من الفيض: فيض الروح القدس من حياة المؤمن الممتلئ من الروح، مظهرًا بذلك للآخرين حقيقة المسيح الساكن فيه.

وفيما نقرأ كتاب العهد الجديد، نلاحظ أنَّ التبشير في الكنيسة أوَّل عهدها لم يكن فقط نتيجةَ شخصيَّةٍ منبريَّة مُقنِعة. فلولا انطلاقُ التلاميذ أوّلاً وهم ينادون شخصيًّا **بعظائم الله (أعمال ٢: ١١)**، ما كانتِ الجموع لتحتشد للاستماع إلى بطرس يوم الخمسين.

فحينما تفيض طهارةُ الربِّ يسوع المسيح وحياتُه ومحبَّته من قلب المؤمن به إلى عالم بائس يائس، تُلَيِّن قلوب الناس وتُستَعدُّ لسماع الحقِّ الإلهيّ. لهذا السببِ يُعوزنا أنْ نقابل الربَّ كلَّ يوم في نور كلمته حتَّى نكون باستمرار طائعين وصيّة الكتاب أنِ **امتلئوا بالروح** (**أفسس ٥: ١٨**).

التبشير بواسطة الفيض

في أوائل حياتي المسيحيَّة، انخرطتُ في جمعيَّة شبيبة تضمُّ مؤمنين. وكنّا بالطبع نملِك «حماسة» أكثر ممّا نملك «معرفة!» ولكنْ على الرغم من ذلك (بل ربَّما بسبب ذلك!) استحسن الله أن يستخدمنا بين أصدقائنا غير المؤمنين. فَلأرِ في ما يلي من تلك الاختبارات التي كانت لنا نحن المؤمنين الشبّان.

الحياة المهنيَّة: لمَّا وُلِدتُ الولادةَ الجديدة، كنت أشتغل وأتدرَّب في مكتب الهندسة المدنيَّة بمجلس المدينة. وبينما كنت أعمل في دار البلديَّة، تمَّ استدعائي ذاتَ يوم إلى مكاتب رئاسة البلديَّة الفخمة! وهنالك تلقَّيت معاتبةً حازمة من الرئيس الأعلى الذي أبلغني أنه سمع بنشاطاتي «غير المهنيّة». واتَّضح لي أنَّه كان يشير إلى الخدمات التبشيريَّة التي كنّا نحنُ الشبّان نقوم بها. فكلَّ ليلة، بُعيد إقفال الحانات، كنّا نُقيم خدمات تبشيريَّة في الهواء الطَّلق في ساحة اجتماعاتٍ عامَّة وسط المدينة. وفي البداية، لم يكن المارَّة يتوقَّفون بطيبة خاطر للاستماع، ولذلك كُنّا نُسَرُّ غالبًا إذ بدأ أحدُهم يحاول إحراج المتكلِّم بالأسئلة. فبينما كان

المُخاصِم يُحفيه مُضايقًا، كان آخرون ينضمُّون إليه، فيما تجمَّع غيرهم لمساندة «المسكين الواقف على الصندوق الفارغ». وهكذا ما كان يمضي وقت طويل حتَّى يكون قد اجتمع جمهورٌ لا بأس به، فنكرز له. وفي بعض الليالي كان يعترف شخص أو شخصان بالإقبال إلى المخلِّص! وقد نبَّهني أمين سرّ البلديَّة إلى أنَّ هذه التصرُّفات «المتطرّفة» يجب ألاَّ تُربط على أيّ وجه بمقام البلديَّة المهنيّ. وأنذرني مشدَّدًا بضرورة وقف كلِّ نشاط من هذا النوع. ولكنْ بما أنَّ اجتماعات الهواء الطلق تلك كانت مثمرة على ما يبدو فقد شعرنا نحن الشبّان جميعًا بأنَّ الربَّ يرشدنا إلى متابعتها!

وفي ما بعد، حين كنتُ أدرس في كلِّيَّة الكتاب المقدّس، قال مدير الكلِّيَّة في إحدى الخدمات الكنسيَّة الأسبوعيَّة قولاً ما أزال أذكره: «إن لم تستطع استقطابَ جمعٍ في الهواء الطلق، فلا تُضجِرْ جمهورًا أسيرًا في كنيسة!» فلمَّا سمعتُ قوله، شكرتُ الربَّ من جديد على مواصلتنا نحن الشبّان لتبشيرنا في الهواء الطلق!

بُعيدَ ولادتي الجديدة، شهدتُ لجميع زملائي في العمل بإيماني الجديد بالمسيح. ثُمَّ تذكَّرتُ شخصًا على علاقة بالمكتب لم تتسنَّ لي فرصة الشهادة له. كان ذلك هو المرأة التي تأتي كلَّ مساء لتنظيف الأرضيَّة المتَّسخة. وذاتَ مساء، بعد مغادرة زملائي، بحثتُ عن فراشي التنظيف ودلاء التمسيح، وأحضرتُ بعضها. وما لبثَتِ الأرضيَّات أن صارت نظيفة، ثمَّ قعدتُ أنتظرَ وصول عاملة التنظيف. فبادرتُها قائلاً بابتهاج: «عملُكِ أُنجز!» وبعد صمتٍ ذاهل، جالسَتْني إلى فنجان

شاي. وبطبيعة الحال، تمكَّنتُ في حديثنا من تخبيرها عن الربِّ يسوع. ولَسوف أذكر دائمًا الدموع التي ترقرقت من عينيها فيما تحادثنا وصلَّينا معًا!

الحياة الاجتماعيّة: كذلك تحضرني ذكرى ولادتي الحاديةُ والعشرون، وكانت يومذاك مناسبةً خاصَّة دائمًا في بريطانيا. وغالبًا ما كان يتمُّ الاحتفال بهذه المناسبة بعشاء كبير تتبعه حفلة رقص. ولكنْ لمَّا بلغتُ الحادية والعشرين، كان الله قد سبق أن نزع الرقص من قدميَّ ووضعه في قلبي! وهكذا رأيتُ في حفلة ذكرى ولادتي الحادية والعشرين، تلك التي أقامها لي والداي بكلِّ محبَّة، فرصةً أُخرى بعدُ لأربح أصدقائي للمسيح. وعلى ذلك، دعوت مُبشِّرًا إلى المناسبة! وقد أوضحتُ في بطاقة الدعوة لزملائي وأصدقائي غير المؤمنين أنَّ صديقًا لي سيُلقي كلمة بعد العشاء! ووضعتُ على بطاقة الدعوة عبارةً صريحة جدًّا: «مطلوبٌ **حضورك**، لا **إحضارك هديَّة**!» وفي تلك الليلة، رجع أحد أصدقائي إلى الربّ في اختبارٍ عجيب!

وفي ما بعد، لمَّا صرتُ راعيًا مساعدًا في كنيسةٍ معمدانية بلندن، ما قامت الشبيبة قطُّ بنزهةٍ في النهر، أو جولةٍ في البلد، أو لقاءٍ رياضيٍّ مسائيّ، إلاّ جعلت المناسبة جذّابة بما يكفي لدعوة غير المؤمنين. وبغير استثناء، كانوا يختمون كلَّ نشاط من هذا النوع بتقديم واضح لرسالة الإنجيل. ولمَ لا؟ فقد أدرك الشبّان والشابّات أنَّ الغاية من وجود جمعيَّة الشبيبة كانت أوَّلاً بنيان أنفسهم في الربّ، وثانيًا رؤية أصدقائهم يُقبِلون إلى المسيح. ولا عجب إنْ كانت جمعيَّة الشبيبة قد ازدهرت بمباركةٍ من الله.

الحياة الروحيَّة: لم تستهوني قطُّ دراسة الكتاب المقدَّس قبل رجوعي إلى الربِّ في التاسعة عشرة من عمري. وعليه، ففي تلك السنّ لم أعرف من كلمة الله إلاّ نزْرًا يسيرًا. ولكن بعد قبولي المسيح بوصفه ربّي ومخلِّصي، صار عددٌ قليلٌ منَّا نحنُ المؤمنين حديثًا يجتمعون معًا في بيت لدرس الكتاب المقدَّس. وكان حافزنا الحماسيّ أن نُدخِل كلمة الله إلى رؤوسنا ثمَّ قلوبِنا بأسرع ما يمكن! في تلك الأيّام الباكرة بالذات، أجرينا دراستنا للكتاب بالطريقة الأساسيّة التي سبق أنِ اقترحتُها في كتابي هذا. كلاَّ! لم ننظر إلى كلمة الله نظرتنا إلى كتابٍ دراسيٍّ دينيّ، بل بالحريّ اعتبرناها بمثابة بوصلة تهدينا في الحياة.

وكنتيجةٍ مباشرة لدروس الكتاب البسيطة تلك، اختبر الولادةَ الجديدة بضعة شبّانٍ وشابّات آخرين، وتصوَّرْنا معًا طرقًا شتَّى لحمل رسالة الإنجيل ميدانيًّا إلى أماكن جديدة. ولأنَّ أيًّا منّا لم يكن يملك سيّارة، فقد عنَّت لنا فكرة صنع مقطورة تجرُّها درَّاجة. وكذلك صمَّم بعض البارعين بيننا وصنعوا جهازًا لتكبير الصوت موصولاً بفونوغراف يُشغَّل بالتعبئة اليدويَّة. وفي بعض أيّام العطلة الأسبوعيَّة، كنّا نذهب بالدرّاجات إلى القرى المجاورة جارِّين مقطورتنا ذات المكبِّر الصوتّي.

وأذكر جيّدًا تلك القرية التي كانت الكنيسة الميثوديَّة فيها مُغلقة وأبوابها مُقفلة بإحكام. ففي تحمُّسنا لإذاعة بشارة الإنجيل، بحثْنا عن المفاتيح، واستأذنّا باستخدام مبنى الكنيسة، ونفضنا الغبار عن المقاعد، ثمَّ انطلقنا إلى ساحة القرية الخضراء بجهازنا المكبِّر للصوت.

وخارج «حانة القرية» أقمنا منبرنا وباشرنا اجتماعًا في الهواء الطلق بتشغيل أسطوانة جديدة تمامًا لمرنّم أميركي منفرد يُدعى «بِقرلي شِيّ»، كان قد زار بريطانيا منذ عهد قريب برفقة شابٍّ اسمُه «بيلي غراهم» لأوّل مرَّة. وبين الترنيمة والأخرى من الترانيم التبشيريَّة، كنّا نتناوب على اعتلاء الصندوق الفارغ لنقدّم شهادات شخصيَّة بإيماننا بالمسيح باعتباره مخلِّصنا وربَّنا. وبعد قليل حاول بعضُنا أن يكرزوا للمستطلعين الذين خرجوا من الحانة ليستمعوا إلينا في المرجة. ولدهشة أهل القرية، استحسن الله أن يملأ الكنيسة بالكثيرين يوم الأحد. وقد أقبلَت إلى المسيح شابَّة صارت في ما بعد معلِّمةً لمدرسة الأحد، ولاحقًا قبلت المسيحَ أختها أيضًا. وما لبثت أن فُتِحت أبواب الكنيسة دائمًا، واستؤنفت خدمةٌ كنسيَّة أسبوعيَّة ومدرسة أحد صغيرة.

لقد أوصى بولس تيموثاوس أنِ **اْكرزْ بالكلمة، اعكفْ على ذلك في وقت مناسب وغير مناسب...** (**٢تيموثاوس ٤: ٢**). ولو كان بولس يمارس خدمته اليوم، لخاطب تيموثاوس على أكثر احتمال بقولٍ من هذا القبيل: «إذا سنحت فرصة لتقديم كلمة الله فانتهزها؛ وإذا لم تكن فرصة فأوجدها! فما من وقتٍ البتَّة لا تكون الكرازة بالكلمة فيه غير مناسبة!» فأنا على يقين بأنَّ بولس ما كان لينظر بعين الرضى إلى أيِّ نوعٍ من دراسة الكتاب المقدَّس بطريقة رسميَّة لا تمتدُّ فيها معرفة التلميذ المكتسبة لتصل لاحقًا، بطرائق تتميَّز بالمحبَّة والجرأة، إلى أشخاص لا يدخلون يومًا بابَ كنيسة.

عندما تتعلَّم سرَّ نقْل كلمة الله من رأسك إلى قلبك، فسيتبيَّن لك أنَّه لن

يطول الوقتُ حتَّى تغدو كلمة الله، على حدِ تعبير إرميا، **كنارٍ في عظامك!**

أمَّا إذا بقي الكتاب المقدَّس في رأسك فقط – ويا له من أمرٍ مؤسف!– فمن الممكن لك على نحوٍ مأساويّ أن تكون تلميذًا للكتاب المقدَّس بغير أن تكون طائعًا لروح الله. وعندئذٍ لا تكون نارٌ في عظامك! ولكنْ فيما تقابل إلهك بانتظام في **وقت المعيّة** الخاصِّ بك، فلا بدَّ أن تدرك أكثر فأكثر أنَّه من المستحيل عليك أن تكون طائعًا للروح بغير أن تكون في الوقت عينه تلميذًا للكلمة!

بلى، إنَّ الله يتكلَّم إلينا فعلاً حين نقرأ كلمته، وما يقوله لنا يَتوقَّع منّا أن نبلِّغه إلى الآخرين. فقد قال الله لحزقيال: **فتسمع الكلام من فمي وتحذِّرهم من قِبَلي (حزقيال ٣٣: ٧)**. ولكنْ لا نفع في التكلُّم إلى الآخرين إلاَّ إذا كنَّا أوَّلاً قد سمعنا الكلام من فم الربّ ثمَّ تجاوبْنا معه شخصيًّا.

ما أكثر «مؤيّدي» المسيحيَّة! لكن – واحَسْرتاه! – ما أقلَّ كثيرًا مَن يقدرون أن يؤدُّوا شهادة أصلية لعلاقتهم الشخصيَّة بالإله الحيّ!

لقد استطاع الرسول يوحنّا، بناءً على اختباره الشخصيّ، أن يشهد أخيرًا، في ابتهاج، بحقيقةِ شركته الحيَّة مع المسيح. ولذلك، كما نتوقَّع، دعا الآخرين من ثَمَّ للانضمام إليه في تلك الشركة الحميمة: ...**لكي يكون لكم أيضًا شركة معنا؛ وأمّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح (١يوحنّا ١: ٣)**.

فحصُ نفسٍ روحيٌّ

١ هل أعتبر مكان عملي ومحلَّ إقامتي كليهما بمثابة حقلي التبشيريِّ الشخصيّ؟

٢ أأرى الناس مجرَّد مرشَّحين لقبول الخلاص، أم أسعى بروح الصلاة لكي أحملهم بكلِّ محبَّة على نوال الحياة الجديدة في المسيح؟

٣ متى كانت آخر مرَّة فيها كسبت حقَّ الشهادة للمسيح بمساعدتي شخصًا مّا بطريقة عمليَّة؟

٤ هل شفتاي مُطبَقتان عن التكلُّم باسْم المسيح بجسارةٍ لأنَّ:
حياتي معرَّضة للخطر؟
مهنتي قد تُعلَّق؟
كبريائي تأبى الوقوف في صفِّ يسوع الناصريِّ المحتقر والمرفوض؟

أيُّها النور الأزليُّ الأبديُّ ... السرمديّ!
كم ينبغي أن تكون النفسُ نقيَّة،
حتَّى إذا تعرَّضت لبهائك الكشّاف
لا تنكمش ولا تنكفئ،
بل بابتهاج هادئ
يُتاح لها أن تحيا
وأن تتطلَّع إليك!
إنَّ الأرواح المحيطةَ بعرشك
يمكنها تحمُّل السعادة الملتهبة،
ولكنَّ ذلك من نصيبها وحدها،
لأنَّها ما عرفت قطُّ
عالمًا كعالَمنا الساقط هذا.
أوّاه! كيف لي أنا، مَن مُقامُه الظلام
ومَن ذهنُه مُظلم،
أن أظهر في حضرة مَن جلَّ أن يُسمَى
وأتحمَّل بروحي العارية
أشعَّته غير المخلوقة؟
أمام الإنسان سبيلٌ لأنْ يرقى
إلى تلك الحضرة الأسمى:
تقدمةٌ... ذبيحةٌ مكفِّرة،
وخدمةُ شفيعٍ عند الآب مؤازِرة.
فهذه بالنعمة تُعدُّنا
لرؤية القداسة في العُلى:
قد صار لبني الجهالة والظلام
أن يسكنوا في النور السرمديّ
بفضل الحُبِّ الأبديّ!

– ثوماس بِنِّي (١٧٩٨ – ١٨٧٤) –

ثِمار أو نار

لي صديقٌ اسمُه «بَنْغت»، وهو سويديٌّ هاجر إلى أميركا، حيث أصبح رجُل أعمال مؤمنًا ناجحًا. وكان من جملة خدمات «بَنْغت» العديدة سرورُه بقيادة الطائرات الإرساليَّة إلى مقصِدها في الحقول الإرساليَّة. وذاتَ سنة طُلِب إليه وإلى صديق له أن يأخذا طيّارة صغيرة إلى ألاسكا من قِبل إحدى الجمعيّات الإرساليَّة. ولدى إكمال الشوط الأكبر من الرحلة، تركه صديقه في مطار «فايرْبانكس»، وأخذ هو يستعدُّ لقيادة الطيّارة وحده إلى مقصِدها.

وقُبيل أن يُغادر الصديق، قذف إلى الطيّارة الصغيرة بحقيبة طوارئ، فيها لوح شوكولا وحرام صفيق فقط. وخلال هذه المرحلة الأخيرة من الرحلة، هبَّت عاصفة على غير توقُّع. وقد شدَّت الرياح الغادرة في جبال ألاسكا الطيَّارة الضئيلة إلى سفحٍ مُنحدِر، حيث انقلبت رأسًا على عقب وانزلقت حتَّى توقَّفت عند حافة جُرفٍ صخريّ. وظلَّ الثلج يتساقط طوال الأيّام الثلاثة التالية، ولكنْ من لطف الله أن الرياح نفخت الثلج عن بطن الطيّارة الأبيض، ممّا حال دون تغطيتها. ولكنْ لأنَّ بطن الطيَّارة الأبيض كان محاطًا بالثلج، فلمّا طارت فوقها فِرَق الإنقاذ التابعة لخفر السواحل لم تتمكَّن من رؤيتها.

وبعدما استدعى الجيش فرق الإنقاذ التابعة له، عمد «بروس» ابن «بَنْغت»، وهو شابٌّ مؤمن ممدوح، مع طيّار من طيّاريّ الجمعيَّة، إلى الصلاة طالبين أن يرشدهما الربُّ إلى «بَنْغت». وعلى الأرض في تلك الأثناء، كان «بَنْغت»، قد أُرهِق وخارت قواه، حتَّى إنَّه التقط لنفسه صورة فوتوغرافيَّة يظهر فيها مودِّعًا أحبّاءه بوجه شاحبٍ لكن باسِم. غير أنَّ الله شاء أن يُجريَ خُطَّة أُخرى. فبينما «بروس» وصديقه يطيران فوق موقع الطيّارة المنقلبة، لفت انتباهَهما انعكاسُ ضوء الشمس على بطن الطيّارة، فحدَّدا مكانها!

لماذا أحكي هذه القصَّة؟ لقد أخبرني «بَنْغت» لاحقًا أنَّه في أثناء الأيّام العشرة التي قضاها هناك عاش عند عتبة «كرسيِّ المسيح» حيث المحاسبةُ والمكافأة. ثمَّ لمَّا رأيتُه ثانيةً أخبرني أنَّه لمَّا كان وحده في حضرة الله، فوق ذلك الجُرف المغطَّى بالثلج، أتاح له الروح القدس أن يراجع حياته على الأرض إذ توقَّع أن يُلبِّي سريعًا نداء العودة إلى حضرة الله في السماء. وقال إنَّه شعر كما لو كان كرسيُّ محاسبة المؤمنين قد جاءه قبل أوانه. وإذِ انبسطت حياته أمام ناظريه، فكّر في سني الخدمة المسيحيَّة المتفانية التي قضاها، وساءل نفسه عمَّا سيكون له حسابُه منها في الأبديَّة.

وبجديَّة بالغة، أخبرني «بَنْغت» أنَّه أدرك أنَّ اجتماعات عمدة الكنيسة، وجلسات مجلس الإرساليّة، ونشاطاته الكنسيَّة الكثيرة، وإن كان قد تولاَّها بسرور، فإنمَّا قام بها فعلاً بطاقة جسده وتعبيرًا عن مواهبه وقدراته، وليس نتيجةً لفيض ملء الروح القدس.

وقال إنَّه في تلك الأيّام العشرة أراه الله أنَّ تلك النشاطات «الجديرة بالذِكر» ما كانت إلاَّ «خشبًا وعشبًا وقشًّا» (وهذه استعارات استُخدمت في الكتاب المقدّس للإشارة إلى ما في حياتنا من أيّام وأعمالٍ سوف تُحرَق أمام «كرسيّ محاسبة المؤمنين» في حضرة المسيح، ومن ثَمَّ لا يكون لها حسابٌ في الأبديَّة).

وقد كان هذا الاختبار المهيب في حياة «بَنْغت» اختبارَ نهضةٍ بالفعل. ونحنُ الذين أحببناه وعرفناه من زمان، وقدَّرنا كثيرًا الحماسة التي بها عكف على عمل الله بكلِّ تفانٍ، فهمنا في ما بعد ما قصده. ذلك أنَّ السنين القليلة الباقية من حياته فُسِّرت ليس بِلُغة قدراته وقوَّته الخاصَّة، بل بلغة دفقٍ جديد من فيض بركة الله وقوَّته من خلال حياته كلَّما أدّى شهادته.

وإنَّها لفكرة مُصحّية للمؤمنين أن نتذكَّر أنَّنا سوف نُظهر أمام «كرسيّ المسيح» المُعَدّ **لجميع المؤمنين**. ويجب التفريق بين «كرسيّ المسيح» هذا و«عرش الدينونة الأبيض العظيم». فالعرش العظيم الأبيض هو المكان الذي أمامه سيُدان **غير المؤمنين** جميعًا ويُحكَم عليهم بالهلاك الأبديّ. أمّا كرسيُّ محاسبة المؤمنين فهو المكان الذي فيه سيُحرَق كلُّ ما لم يكن من الإيمان، ويبقى إلى الأبد كلُّ ما هو من الإيمان، لمجدِ الله: لأنَّه هو نفسَه قام بالعمل! في ذلك اليوم، سيكتشف مؤمنون كثيرون بحسرة أنَّ حتَّى انشغالَهم بالخدمات الكنسيَّة وشعبيتَهم في الدوائر الدينيّة – ولو جلبا لهم اكتفاءً كبيرًا في أثناء حياتهم – لم يكن لهما حسابٌ في فكر الله باعتبارهما عملاً روحيًّا أصيلاً.

صفحات بيضاء

أمامي ورقتان بيضاوان نظيفتان، وكلتاهما خاليتان. فلم يكتب أحد أو يرسم عليهما شيئًا. ولو نظرتَ إليهما، ما كنتَ لترى أفكار أحدٍ مخطوطةً، ولا صورةً جميلة. إلاَّ أنَّك في الوقت نفسِهِ ما كنت لترى أغلاطَ أحدٍ أيضًا! فكما ليس من جمال، فكذلك أيضًا ليس من خربشة ولا لطخات، وإنَّما بضع صفحاتٍ بيضاء، لا أكثر ولا أقلّ.

وقد تمرُّ في حياتك وحياتي أيّامٌ كثيرة تُشبه هذه الصفحات البيضاء. ولئن كانت صفحات حياة المؤمن ملطّخةً بالخطايا في الماضي، فإنَّ كلَّ صفحة من صفحات حياته قد صارت بيضاء، وذلك بفضل رحمة الله العجيبة وبفعل دَم المسيح المكفِّر. إذ لا يبقى إلاَّ كلُّ ما قد صار أبيض **كالثلج (إشعياء ١: ١٨)**.

وإذْ أُعيد النظر في بعض صفحات حياتي من حيث كوني مؤمنًا بالمسيح، أتذكَّر بأسًى أنَّني قد أخطأتُ وأحزنتُ الروح القدس، عمدًا أو سهوًا، مِن ضعفٍ أو من عصيان. فلولا دمُ المسيح، لظلَّت تلك الصفحات سوداء بلطخات الخطيَّة البشعة والأنانيَّة البغيضة. وما أعجب الرحمة والنعمة اللتين شملني الله بهما، بحيث إنَّ تلك الصفحات التي كانت مُسوَّدة جدًّا بالخطيَّة باتتِ الآن بيضاءَ كالثلج! صفحاتٌ بِيض، لكنَّها – والحمدُ لله! – خاليةٌ من اللطخات والبُقع السُود!

لكنَّها فكرةٌ مُصَحِّيةٌ لي أيضًا أن أدرك أنَّ كلَّ ما لم يعمله الروح القدس بي لا يكون له حسابٌ بالنسبة إلى الأبديّة. وبكلمات الرسول

بولس، فإنَّ تلك الأيّام من الحياة يمكن وصفُها بأنَّها أُنقِذت ولكنْ **كما بنار (١كورنثوس ٣: ١٥)**. فحين لا يكون فيضٌ للرُّوح القدس من حياتي، فمع أنَّ خطاياي قد مُحِيَت بفضلِ ربّي الغفور، لا يُنجَز شيءٌ من شأنه أن يُحسَب بالنسبة إلى الأبديَّة. صفحاتٌ بيض، إنَّما – واحسرتاه! – لا شيء أكثر!

ومع أنَّ بعض صفحات الحياة سوف تبقى بيضاءَ إلى الأبد، فإنَّ صفحاتٍ أُخرى ستكون عليها صُوَرٌ فائقة الجمال يتعذَّر محوُها، صفحاتٍ رسمتها يدا محبَّته المثقوبتان، مُمجِّدةً له إلى الأبد. هذه الصفحات المجيدة، عندَ كلِّ مؤمن، هي سِجِلُّ تلك الأيّام التي فيها كُنّا آلاتٍ طيِّعة بها قدر الله السرمديُّ أن يعمل عملَهُ الأبدي. نعم، صفحاتٌ بيض، لكنَّها – والحمد لله! – أكثر من ذلك بكثير!

سنون مُضيَّعةٌ سُدًى

يا لها من مأساةٍ لأولئك الذين يدعوهم الله يوميًّا بقوله «**هلمُّوا تغدَّوا**» **(يوحنّا ٢١: ١٢)** أن يُضيّعوا سُدًى من حياتهم سنين كان يمكنهم بالحريِّ أن يقضوها في فرح الشركة المتوثّقة أبدًا مع ربِّهم وفي إبهاج قلب المخلِّص نفسه.

يغمر قلبي فرحٌ يشوبه الحزن إذْ أتذكَّر شيخًا كدَّر خلاصَه بالذات وجعُ الفُرَص المُضيَّعة والسنين المهدورة في مسرّات الحياة السطحيَّة.

فبُعيد ولادتي الجديدة، ذهبتُ في الخدمة إلى مستشفى محلِّيّ بصحبة بضعة شبّانٍ حديثي الإيمان أيضًا. وكنَّا كلَّ أسبوعين، مساءَ يوم السبت، نقدِّم رسالة الإنجيل ونُصلِّي مع بعض المُسِنِّين الذين لم يكونوا يستطيعون قطُّ مغادرة جناح العَجَزة في المستشفى. فمساءَ ذاتِ سبت، جلستُ بجانب سريرِ واحدٍ من المسنِّين قيل لنا إنَّه لن يعيش حتَّى زيارتنا التالية بعد أسبوعين.

وبعدما سمع رسالتنا التبشيريَّة القصيرة، بدا عليه التأثُّر الشديد، ثمَّ قال متلعثمًا والدموع تسيل على خدَّيه: «أنا أعلم أنَّني مخلَّص وذاهب إلى السماء.» فأجبت: «عظيم!» وقبل أن يتسنَّى لي أن أقول أيَّ شيء آخر، بدأ ينشج باكيًا، لا من فرحٍ لا يُكبت، بل بألم جرحٍ داخليّ. ثمَّ همس بصوت ضعيف: «نعم، ولكنَّ فرحتي منقوصة. فأنا كما تعلم في الحادية والسبعين، وقد ضيَّعت من عمري سبعين سنة!»

ماذا كان يمكنني أن أقول له وأنا حديث الإيمان؟ لستُ أذكر كيف حاولتُ أن أُعزّيه. ولكنَّني أذكر جيّدًا أنَّني رجعتُ إلى البيت تلك الليلة وجثوتُ على ركبتيَّ وقلتُ للربّ كلامًا من هذا القبيل: «يا ربّ، الآن أنظر عبر المستقبل إلى حياةٍ سوف أنظر إليها ذات يومٍ رجوعًا. فعندما يحين وقت ذهابي إلى السماء، لا أريد أن أذهب بنفسٍ مخلَّصة ولكنْ بحياةٍ مُضيَّعة. فالليلة أضع حياتي بين يديك من جديد، مصلّيًا أن تجعلها حقًّا ذات قيمة بالنسبة إلى الأبديَّة!»

وفي العهد القديم نبَّه حبقوق إلى أنَّه من الممكن أن نبذل مقدارًا كبيرًا من الطاقة. ثمَّ نكشف لاحقًا بحسرة أنَّ ما فعلناه لا يساوي

شيئًا. فلمَّا أعلم شعبه بهذه الحقيقة: «**البار بإيمانه يحيا**» (**حبقوق ٢: ٤**)، أنذرهم أيضًا بأنَّ أولئك الذين لا يطبّقون مبدأ الإيمان، القاضي بالاتّكال الكلّيِّ على الله، في مجال نشاطات الحياة، «**يتعبون للنار**» (**حبقوق ٢: ١٣**). فلأنَّ هؤلاء القوم بنَوا مدينتهم بعدم الاتّكال الكلِّيّ على الله، لم يبق إلاَّ الرماد. وهكذا، فمهما عملنا من عمل لم نكن فيه متّكِلين كليًّا على الربّ يسوع المسيح، فإنَّه ذات يوم سيتحوَّل إلى رماد في نار حضرة الله.

وفي ما بعد، ينبِّه بولس كذلك في العهد الجديد، قائلاً:

ولكنْ إن كان أحد يبني على هذا الأساس [الربِّ يسوع المسيح] **ذهبًا، فضة، حجارة كريمة، خشبًا، عشبًا، قشًّا، فعمل كل واحد سيصير ظاهرًا؛ لأنَّ اليوم سيبيِّنه، لأنَّه بنار يُستَعلن، وستمتحن النار عمل كلِّ واحدٍ ما هو. إن بقي عمل أحد قد بناه عليه، فسيأخذ أجرة؛ إن احترق عمل أحد فسيخسر، وأمَّا هو فسيخلص، ولكنْ كما بنار** (**١كورنثوس ٣: ١٢-١٥**).

لقد كان ابن الحادية والسبعين في جَناح العجزة مسرورًا لأنَّه مخلَّص، ولكنَّه أيضًا كان حزينًا جدًّا لأنَّه قد خلص «كما بنار». والنار التي ستحرق ما في حياته من خشبٍ وعشب وقشّ هي عينها النار التي ستُنقِّي الذهب والفضة والحجارة الكريمة لدى أولئك الذين أتاحوا للروح القدس حرّية العمل ليبنيَ بواسطتهم مستخدمًا حجارة البناء الإلهيَّة غير القابلة للفناء.

النور السرمديّ

إنَّ الإله الأزليّ يقوم بعمله الأبديِّ من خلال كلِّ مؤمن يكون ثابتًا في المسيح إذ يُغذِّي إيمانه ويطبِّق كلمة الله في حياته. ولسوف يكون مؤمنون من هذا النوع قادرين على مواجهة كلِّ يوم بترقُّبٍ فَرِح، إذ يشهدون شهادةَ يقين: **لذلك ونحن قابلون ملكوتًا لا يتزعزع، ليكن عندنا شكرٌ به نخدِم الله خدمةً مرضيَّة بخشوع وتقوى (عبرانيين ١٢: ٢٨)**. فمن شأن أوقات المعيَّة المنتظمة الفعّالة أن تشجِّعنا على السلوك بقوَّة الروح القدس، لا بطاقة الجسد.

وذات يوم، في النور الفاحص لكلِّ شيء والمنبعث من حضرة الله المقدَّسة، سوف يفرح فرحًا فائقًا أولئك الذين كانوا أوانيَ طيّعة لعمل الإله الحيّ. فالآن إذ ننجذب إلى مأدبة إله النور والمحبَّة يومًا فيومًا، يدعونا إلى التمتُّع بشركة شفافَّة معه. وبهذه الطريقة، نصير قنوات نوره ومحبَّته إلى عالمٍ مظلم وأنانيّ.

فحصُ نفسٍ روحيٌّ

١ إذا استمررتُ عائشًا بالطريقة التي بها أعيش الآن، فهل يكون من حياتي أيُّ ثمار أمام «كرسيّ المسيح؟»

٢ عندما أُصلّي، هل أقترب إلى الله على أساس كونه النور السرمدي، أم هل أعتبره فقط الشخصَ المُحسِن إليَّ والموجود في السماء؟

٣ هل يعوزني الآن أن أُصلّي صلاة داود: **أحيِني حسب كلمتك! (المزمور ١١٩: ٢٥)؟**

إكسرْ لي يا ربُّ خُبزَ الحياة،
كما كَسرتَ الأرغفة قُربَ البحيرة:
فمن وراء صفحات الوحي المقدَّسة
نفسي لك يا ربُّ ملتمسة،
وإليكَ تتوقُ روحي
أيُّها الكلمة الحيّ!

أنت لي يا ربُّ خبزُ الحياة،
وكلمتُك المقدَّسة
هي الحقُّ الذي يخلِّص نفسي:
أعطني فآكُلَ وأحيا
معكَ في العُلى.
علِّمني أن أحبَّ حقّك،
لأنّك أنت المحبَّة!

يا ربُّ أفضْ روحك الآن فيَّ،
فيلمُسَ عينيَّ ويهبَني البصرَ؛
أبِن ليّ الحقَّ المكنون
في سطور كلمتك،
فأرى في كتابك
صورةَ ذاتك
أيُّها الربُّ العليّ.

– ماري آن لاتبوري –

هلمُّوا تغدَّوا

على شطِّ بحر الجليل الرمليِّ وقف ابنُ الله المُقام من بين الأموات، وحيدًا لم يُلاحِظه أحد. فربَّما حجب ضبابُ الصباح حضورَه الجليل عن أعين التلاميذ المُتعَبين. أو ربَّما غامت أعيُنهم في أعقاب موت المسيح على صليبٍ خشن.

وعلى مقربة من الشاطئ، احتشد التلاميذ اليائسون معًا في قارب صيدٍ صغير. وكانوا قد طوَوا توًّا ليلة صيد مُخيِّبة للأمل في أثنائها لم يمسكوا شيئًا. وإذا بشخصٍ يسألهم سؤالاً من شأنه أن يضفي الشماتة على الأذى: يا غلمان، ألعلَّ عندكم إدامًا؟ ثمَّ ندَّت عن شفتَي ذلك الشخص البعيد على الشاطئ كلمةُ أمرٍ صريحةٌ تنمُّ عن معرفة مُطلقة: ألقوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن فتجدوا!

إذ ذاك صحا يوحنّا من غيبوبة الكابوس، واستجاب للصوت المألوف هاتفًا بفرح: **هو الربّ!** فانتعش الأمل لدى التلاميذ، وامتثلوا أمر سيّدهم الربّ، وإذا بالشبكة تمتلئ بصَيدةٍ وافرة! عندئذٍ دبَّت الحماسة في بطرس فغطس تحت الموج وسبح متلهّفًا للقاء معلِّمه الكريم (يوحنّا ٢١: ١١).

وعلى الشاطئ، عمد ربُّ المجد المقام نفسُه، ولا أحد سواه، إلى إضرام نارٍ مجمِّرة. حتَّى إذا اجتمع التلاميذ كلُّهم، وجدوا أنَّ الربَّ

يسوع قد استحضر سمكًا وأعدَّ لهم وجبةً مشويَّة مُغذِّية. فلهؤلاء الرجال الجائعين لكنِ المبتهجين، أصدر الربُّ يسوع دعوته الكريمة أنْ **هلمُّوا تغدَّوا (يوحنّا ٢١: ١٢)**.

هذه الدعوة الكريمة عينها ما تزال تجلجل عبر رواق ألفَينِ من السنين. فصباحًا بعد صباح، يقف يسوع الربُّ على شواطئ الأبديَّة من حيثُ ما يزال يدعونا إلى الاشتراك في مأدبة سماويَّة أعدَّها بعناية. نعم، هو الله نفسه، يسوعُ ربُّنا ومخلِّصنا، مَن قد أعدَّ لنا بإتقانٍ كلَّ وجبةٍ روحيَّة يوميَّة. إنَّها غذاءُ إيماننا، كلمةُ الله، الكتاب المقدَّس!

بعد لُحيظات، سأدعوك إلى «استِراق السمْعِ» فيما أتوجَه إلى الكلمة المقدَّسة لإقامة **وقت المعيَّة** الخاصِّ بي. وإنَّما أسجِّل وقت الصلاة هذا الشخصيَّ فقط لأنَّه قد يثبت أنَّه تشجيع عمليّ وعونٌ كثير الفائدة لك إذ تستجيب بانتظام لدعوة سيّدك الكريمة أن تُقبِل وتتغدّى. فمن مصدرَين مختلفين تمامًا دُفِعتُ إلى الإفضاء إليك بوقائع **وقت معيَّة** فعليّ.

الأوَّل: صديقٌ لي تكرَّم بقراءة مخطوطة الفصول السابقة، وقد حثَّني على وضع هذا الأمر كخاتمة مناسبة لكتابي هذا.

الثاني: من حين إلى آخر، وعلى مدى سنين عديدة، كان لي امتيازٌ بأن أشهد كيف بارك الله الحضور بركة خاصَّة فيما قُدتَ جماعاتٍ وكنائس شتَّى في **وقت معيَّة** جماعيّ.

وفي مناسبات كهذه، يستطيع المشاركة أيُّ فرد من الحضور، ولا تُسأل أيَّة أسئلة إلاَّ من الروح القدس في صلاة صامتة، ولا تُقدَّم أيَّة مواعظ! وكنّا نستهل كلَّ اجتماعٍ معيَّة بصلاةٍ جَماعيَّة طالبين أن يكون

الروح القدس هو معلِّمنا. ثُمَّ نقرأ معًا بصوتٍ عالٍ المقطعَ الكتابيَّ المختار. ومن ثَمَّ نعود إلى أوَّل ذلك المقطع ونقرأ معًا الآية الأولى عاليًا. وقبل التقدُّم إلى الآية التالية، نقضي نصف دقيقة صمتًا. في أثناء وقت الصمت ذاك، يتأمَّل كلُّ فردٍ بروح الصلاة في الآية المقروءة توًّا، ليرى هل تُمكِن الإجابة من تلك الآية عن أيٍّ من الأسئلة المُدرَجة بعد هذا الفصل. وفي أعقاب فترة الصلاة والتأمُّل الصامتة، كان كلُّ فرد يُعطى حريَّة إخبار الجماعة كيف كلَّم الروح القدس قلبه بتلك الآية. ثمَّ تلي ذلك صلاةُ تجاوُب إمّا من قِبَل الشخص الذي تكلَّم توًّا وإمّا من قِبَل أيِّ فردٍ من الجماعة.

وبالمناسبة، أعتقد أنَّ هذا الأسلوب هو أنفع طريقة لإقامة وقت معيَّة. وأوَدُّ الآن أن أحثَّ القُرّاء الذين يستخدمون هذا الكتاب في حلقات الدراسة الجماعيَّة على أن يخصِّصوا بضعة اجتماعات أُخرى في سبيل تطبيق الاقتراحات السابقة.

(لمزيد من الإفادة، تجد الأسئلة على الصفحة ١٤١)

وفكرة **وقت المعيَّة** الجماعيّ عرَّفني بها أوَّلَ مرَّة الراحل «ثوماس ريز»، وهو مبشِّر بريطانيّ، وذلك في مركز مؤتمرات الشبيبة، حيث قبلتُ المسيح مخلِّصًا لنفسي. أمّا الأسئلة التي طلب منّا «ثوماس» أن نجيب عنها فكانت صورة مختلفة لتلك التي سبق أن اقترحتها في الفصل الرابع (وقت المعيَّة).

وعلى مدى السنين الطويلة مُذذاك، صحبَ كثيرًا من الاجتماعات التي أدرتُها بهذه الطريقة إحساسٌ غير معتاد لحضور الله وتكليم الروح القدس للقلوب والحَيَوات. فبعد خدمة من هذا النوع في كنيسة

معمدانيّة وسط إحدى مدن «فيكتوريا» الكنديَّة، قال الراعي معلِّقًا: «كانت هذه أروع خدمة مباركة حضرتُها طوال سني خدمتي!»

وكذلك أيضًا بعد بضعة أيّام من الخدمات في كنيسة عربيَّة بمدينة القدس العربيَّة، قمتُ في أثنائها بتعليم هذه المفاهيم كما أقمنا في أيَّام أُخرى اجتماعات وقت معيَّة جماعيَّة، قال مدير كليَّة الكتاب المقدَّس الكنديَّة، وكان آنذاك يُقيم في تلك المدينة العريقة: «ما كنّا يومًا في مثل هذا القُرب من نهضة روحيَّة مباركة هُنا في هذه المدينة!»

وفي الاجتماعات الكنسيَّة، ولقاءات الشركة في البيوت، والمؤتمرات الروحيَّة، وجمعيَّات الشبيبة، قد بارك الله هذه الطريقة الجماعيَّة، لكنِ الفرديَّة في الوقت عينه، في دراسة الكتاب المقدَّس.

إنَّما أودُّ أن اذكر أنَّني لمَّا حاولتُ وصف **وقت معيَّتي** الشخصي كتابةً، اكتشفتُ أنَّ الإحاطة بما يتميّز به وقتُ شركتي الشخصيّ مع الربّ من حقيقة ملموسة وألَق وإلهام لَهُو أصعب بكثير من اختبار هذه البهجة في الخلوة الخاصَّة أو حتَّى في اجتماع عامّ.

وتيسيرًا لتدويني الخطوطَ العريضة التالية في ما يتعلَّق بوقت معيَّتي في حضرة الربّ اليوم، وضعتُ نُصب عينيَّ بضع قواعد عملية:

أوّلاً: لم أسمح لنفسي أن أختار واحدًا من المقاطع الكتابيّة المفضَّلة والمألوفة عندي! ففي **أوقات معيَّتي** اليوميَّة هذه الأيّام أقرأ رسالة بولس الثانية إلى مؤمني كورنثوس.

ثانيًا: التوصيف التالي لفصل الكتاب المقدَّس المخصَّص لهذا اليوم لم يُقصَد به أن يكون تفسير آية فآية.

ثالثًا: لجعل هذا الوصف لوقت معيَّتي طبيعيًا بقدر الإمكان، سوف

أتشارك معك في الآيات التي جعلها الروح القدس اليوم حيَّةً لقلبي.

رابعًا: سوف أخبرك كيف أُضفيَ على صوت الله بعدٌ شخصيّ لمَّا تأمَّلتُ في كلمة الله بروح الصلاة مستخدمًا بعض الأسئلة التي سبق أن اقترحتُها.

وإذ أُطلِعك على تأمُّلاتي، فسيتبيّن لك أنَّ أيَّ **وقت معيَّة** هو اختبار شخصيٌّ حصرًا. وأنا أعي أنَّ ظروفك اليوم غيرُ ظروفي. كما أعي أيضًا أنَّ ظروفي اليوم ليست ما ستكون عليه بعد ستَّة أشهر. فإنَّ الله، في محبَّته العظيمة، يقابلنا ويتكلَّم إلينا حيث نحن تمامًا، وليس حيث كُنَّا، ولا حيث سنكون، ولا حيث يكون شخصٌ آخر سوانا، بل حيث نحن فحسْب! وعندما تقرأ الصفحات التالية، فستكون في مواجهة ظروف مختلفة كلِّيًا عن ظروفي. ولأنَّ الله **سوف** يتكلَّم إليك بالنسبة إلى حاجاتك وأحوالك الخاصَّة، فالدعوة موجَّهة إليك شخصيًّا ويوميًّا من قِبَل الربّ لكي تُقبِل وتتغذّى.

ويقينًا أنَّ الكتاب المقدَّس لا يقتصر فقط على كونه كلمة الله **الحيَّة والفعّالة** إلى قلوبنا، بل هو أيضًا كلمته **الشخصيَّة** إلى كلٍّ منّا! **لأنَّ كلمة الله حيَّة وفعّالة... ومُميِّزة أفكار القلب ونيَّاته (عبرانيّين ٤: ١٢)**. فأيُّ شيء يمكن أن يكون شخصيًّا أكثر منها؟

في تأمُّلي الكتابيِّ اليوم، أدعوك إلى مشاركتي فيما أفتح كتابي لمقدَّس إلى الأصحاح الأوَّل من رسالة كورنثوس الثانية. فهلاَّ تفتح كتابك معي!

إنَّها الخامسة صباحًا، وها أنا قد أقفلتُ عليَّ الباب وفتحتُ الكتاب المقدَّس لأكون وحدي في حضرة الله.

أمّا بعض الظروف المحيطة بحياتي اليوم وأنا أمثل في حضرة الله بكتابٍ مقدَّس مفتوح وقلب منفتح، فها هي:

- أنا قَلِق خصوصًا من جهة الألم الدائم والمُتفاقِم الذي تعانيه «دوروثي». فقد أصبح أكثر حدَّةً في هذه الأسابيع المنصرمة.
- يُقلقني أيضًا احتمالُ أن تكون حالتها الصحِّيَّة عاملاً حاسمًا في إقرار خُطَطي النهائيَّة المتعلقة بخدمتنا التجواليَّة هذا الخريف. وكثيرًا ما كنتُ في ما مضى إذا رأيت «دوروثي» تُعاني بطرقٍ غير معتادة غالبًا، من جرّاء رحلاتنا التبشيريَّة الطويلة والمضنية، أقول لها: «لن أُعرِّضك يا دوروثي أبدًا لمثل هذه الظروف بعد.» ولكنْ بعد ذلك، وبطريقة أو بأخرى، سكب الله بركته على خدمتنا المشتركة، حتَّى قلنا معًا: «لقد كان الأمر يستحقُّ عناءَه على نحوٍ مجيدٍ جدًّا!» فماذا بشأن هذه المرَّة يا ربّ؟
- قلبي مُثقَل اليوم كثيرًا بالوضع في كينيا، حيث استحسن الله أن يبارك خدمتنا في الماضي. فالوضع برمَّته في ذلك البلد غير مستقرٍّ إلى أبعد الحدود، مع استفحال التضخّم. وأودُّ لو يتأتَّى لنا أن نضاعف مساعدتنا للوطنيِّين الكثيرين الذين يخدمون المسيح هناك.
- كثيرون من أقربائنا، سواءٌ من جهة «دوروثي» أو من جهتي، إمّا ترمَّلوا قبل الأوان وإمّا يُعانون مرضًا عُضالاً. فبسبب جدول أعمالنا المعقَّد، وغير المؤكَّد أحيانًا، وبسبب محدوديّات دوروثي المزمنة والحادَّة صحيًّا، يبدو أننا غير مؤهَّلَين لإبلاغهم بعبارات محدَّدة كم يعنينا أمرُهم حقًّا.

صلاة

أيُّها الآب السماويّ، أحمدك هذا الصباح على أيقاظك إيّاي باكرًا على غير عادة. فاعتقد أنَّ قصدك لم يكن فقط أنَّك ترغب في أن تتكلَّم إلى قلبي بطريقة خاصَّة، بل أيضًا أنَّك تريد أن تبارك كلَّ شخصٍ سيُصغي في ما بعد إلى وقائع وقت معيَّتنا، مِمَّن يستمعون إلى ما تقوله لي من خلال كلمتك.

أنت عليمٌ، أيُّها الربُّ العزيز، أنَّني لا أستسهل أن أصرف ذهني عن أولئك الذين سيطّلعون على ما **أدوّنه**، بُغية أن أكون واعيًا لك وحدك.

لذلك أصلّي طالبًا أنَّك بطريقة خاصَّة جدًّا تمسح قلبي وذهني وقلمي بالشفافية والواقعيَّة وبإحساسٍ حقيقيّ للعلاقة الشخصيَّة الوثيقة لك.

إنَّني من جديد أؤكِّد في حضرتك أنَّ حياتي مستترة مع المسيح في الله. فشكرًا لك على هذا اليقين العجيب. وأحمدك أيضًا، أيُّها الربُّ الحبيب، على أنَّه وإن كان ما أكتبه بيدي هنا على الأرض متحيّزًا على نحو موسف بسبب منظوري الشخصيّ الخاصّ فأنت في السماء كاهني الأعلى العظيم، وسوف ترفع صلاتي وحمدي أمام عرش الآب بمقتضى معرفتك ومشيئتك الكاملتين. وعلى ذلك، فبتوقُّعٍ ممتزج بالفرح أتوجَّه إلى كلمتك هذا الصباح. فافتح عينيَّ هذا اليوم حتَّى يُتاح لي أن أرى عجائب في كلمتك!

فيا قارئي العزيز، أتوجَّه اليوم إلى ٢ كورنثوس، الأصحاح الأوَّل، ثمَّ أقرأ بصوتٍ عالٍ وعلى مهل الأصحاح كلَّه آيةً آية. وأنا أقرأ بصوتٍ واضح، وبلا وقفاتٍ طويلة. وأدعوك لأنْ تحذو حذوي.

ولمّا قرأتُ منذ لُحيظاتٍ هذا الأصحاح بهذه الطريقة، تنبَّهت جيّدًا إلى تصرُّف بولس النموذجيِّ بوصفه خادمًا للمسيح. فالآن أتَّضح لي أنَّ قسمًا كبيرًا من وقتي مع الربِّ اليوم ستشغله الإجابة عن السؤال: **أفي هذه الآية قدوة أقتدي بها؟**

ومن قراءتي الأولى للأصحاح كلِّه، بات قلبي منعطفًا بفعل الروح القدس للاقتداء بتصرُّفات بولس المثاليَّة النبيلة. فإنّي أريد حقًّا أن أصبح خادمًا أفضل للربِّ سيِّدي. وقبل مباشرتي التأمُّل في الأصحاح آيةً فآية، سأقول له ذلك.

صلاة

أيُّها الربُّ يسوع، أريد بصدقٍ أن أتمكَّن من التفكير بسيرة خدمتي لك برضًى مماثل لِما ألمسه في شهادة بولس التي قرأتُها مِن توِّي. فبألف طريقة أغدقتَ بركاتك على حياتي، ويوئسفني أن أعترف بأنَّني كثيرًا جدًّا ما جعلتُ ذلك طريقًا ذا اتجاه واحد. إنَّ قلبي يتعب من التعبير بإخلاص عن رغبتي في الشركة معك. ولكنْ بعدئذٍ، حين تُتيح لي فرصةً للإسهام في شركة آلامك، أنكفئ انكفاء الجبان! ففيما أوشِك على التأمُّل في هذه الآيات من جديد، أرجو أن تُظلِّلني بحضورك وقوّتك وتلمس حياتي من جديد بطريقة تُغيِّر الحياة، حتَّى تتغيَّر دائمًا وجذريًّا أنماط عاداتي الأنانيَّة، إكرامًا لاسمك العزيز الكريم!

والآن أعود فأقرأ الأصحاح عينه آيةً آية وفكرةً فكرة. وإذ أفعل هذا، أُصلّي دائمًا طالبًا ألاَّ يسمح لي الروح القدس بأن أفوت الرسالة التي يريد الله أن يوصلها إلى قلبي استجابةً لصلاتي. على هذا المنوال ستبدأ

محادثتي مع الله ذاتُ الاتّجاهين. كذلك أيضًا أُذكِّر نفسي أنَّ عليّ فيما أتأمَّل كلَّ آية أن أحرص على عدم الإسراع في تخطّي أيَّة آية مألوفةٍ عندي. فعسى أن يريد الله اليوم إحياء تلك الآية لقلبي بطريقةٍ جديدة وخاصّة. وعلى ذلك أسأل: **أفي هذا المقطع فكرة جديدة عن الله الآب؟**

قراءة

الآية الثالثة: أبو الرأفة وإله كلِّ تعزية.

أُلاحِظ اليوم بوجه خاصّ أنَّ هذه العبارة المتعلّقة بالأبوَّة الإلهيَّة تسبقها إشارة أخرى إلى أبوَّة الله ذُكرت في الآية الثانية. وإذ نظرتُ حاشية الكتاب المُشَوهد، علمتُ أنَّ الآية الثالثة يمكن أن تُترجم هكذا: **مباركٌ إلهُ وأبو ربِّنا يسوع المسيح**... فتأمَّل هذا: أنَّ إله الربِّ يسوع المسيح وأباه هو أيضًا أبي، أبو الرأفة والتعزية! فلأجل تعزيتي، شملني أبي السماويُّ بنعمته وسلامه.

صلاة

أيُّها الآب، أنحني أمامك ساجدًا، شاكرًا وحامدًا. شكرًا لك على «نعمتك». كما أنَّك قد نقلتَ إلى قلبي ما هو لك أزليًّا: «سلامك!» فبنعمتك صار لي اليوم السلام، السكينة، الوئامُ الملازمُ لكينونتك منذ الأزل! هلِّلويا! أرجو منك أن تكلِّم بروحك القدُّوس قلبي المضطرب. وإذ أجثو في حضرتك المقدَّسة، أرجو أن تملأ حياتي بالسكينة والسلام المقترِنين بسُكناك فيَّ.

قراءة

الآية الرابعة: الذي يعزّينا في كلِّ ضيقتنا، حتَّى نستطيع أن نعزِّي الذين هم في كلِّ ضيقة، بالتعزية التي نتعزَّى نحن بها من الله.

فيما أتأمَّل شهادة بولس هذه، أُلاحِظ كلماتٍ أُخرى استخدمها في سياق «التعزية» التي تلقّاها من الآب السماويّ، وهي: «ضيقة»، «نتألَّم»، «آلام»، «نتضايق»، «حكم الموت». فيبدو أنَّ الروح القدس يلفت انتباهي إلى أنَّ هذه الاختبارات بعيدة جدًّا عن مفهوم «التعزية» المعتاد.

وإذ أُتابع القراءة، أُلاحظ أنَّ بولس أيضًا شهد أن جميع مصاعب الحياة يسمح بها الله لغرضٍ واحد محدَّد: لكي لا نكون متّكلين على أنفسنا، بل على الله الذي يُقيم الأموات. كذلك ألاحظ من الآية الرابعة أنَّ السبب الذي من أجله قدَّم الله تعزيته لبولس لم يكن حتَّى يتعزَّى هو فحسْب بل حتَّى يستطيع أن يكون كذلك معزِّيًا للآخرين. لذا ينبغي لي أن أُصلِّي الصلاة التالية:

صلاة

نعم يا ربّ، أنت تعرف أوقاتَ حياتي التي فيها أردتُ بإخلاص أن أقدِّم التعزية والتشجيع إلى المتألِّمين. وهكذا أردتُ كثيرًا أن أبلِّغ تعزيتك إلى «دوروثي» إذ تعاني آلامًا جسديَّة دائمة وحادَّة.

إنَّما يبدو كثيرًا جدًّا ما آخذ من «دوروثي» الكثير ونادرًا جدًّا ما أُوظِّف نعمتك وسلامك لأجل تعزيتها وتشجيعها. فأرجو أن تسامحني بتصرُّفاتي

الأنانيَّة، وتملأني من جديد برغبةٍ صادقة في أن أخدِم، لا في أن أُخدَم.

وإذ أُفكِّر أيضًا في ملايين المتألِّمين الذين يعيشون في ظروفٍ موحشة وعسيرة، حيث يعمُّ الجوع والمرض والموت، أرجو أن تتعظَّم نعمتك وسلامك كثيرًا في قلبي، وأن يظهر حضورك في حياتي جليًّا بحيث يستخدم لإراحة الآخرين من أحمالهم ولتعزية أولئك العائشين في ظروف مروِّعة كتلك.

حتّى إنَّني فيما أصلّي، أيُّها الربُّ يسوع، أفهم بأكثر وضوح كيف تتولّى بتعزيتك كلّ صعوبة من صعوبات الحياة مهما كانت شدَّتها وحدَّتها، وأنَّ قلبك المُحِبّ يسمح بها حتَّى لا أكون متّكلاً على نفسي بل عليك.

والآن، عند هذه النقطة، تغدو كلمة الله فعّالة على نحوٍ خارقٍ حرفيًّا بالنسبة إليَّ. وأُدرِك أنَّه حتَّى بولس حلَّت به مجموعة محزنة من الصعاب كي تُجرِّده من ثقته بذاته. فلماذا إذًا أتذمَّر إذا كان الله، في محبَّته، يختار أن يستجيب صلاتي بسماحِه للارتباك والضيق أن يتولَّيا معالجة كبريائي؟

صلاة

نعم يا ربّ، أشكرُك من أجل عمل محبَّتك في حياتي. ولئن كان صعبًا عليَّ أن أدوِّن هذه الصلاة حتَّى يقرأها الآخرون، فممَّا يُشجّعني أنَّ بولس كان شفّافًا بشأن تجاربه القاسية أمام مَن يحبُّهم، إذ إنَّه لم يقصر شهادته على الوجوه المشرقة من حياته. وعليه، فمن صميم قلبي اليوم أحمدك على كلِّ لحظة وحدة ووحشة في خدمتي لك، وعلى كلِّ غمٍّ

سمحت بأن يحلَّ بي، وعلى كلِّ مرَّةٍ فيها أسيء فهمي، وعلى كلِّ ارتباكٍ أرعن وخاطئ في حياتي، وعلى كلِّ ظرفٍ ساحق أخفقتُ فيه لانَّني اتّكلت على نفسي وليس عليك أنت. فالآن يا ربّي يسوع، في حضرة قداستك، أؤكِّد مع بولس أنَّني سأتّكِل لا على نفسي بل عليك.

يا ربّ، من يومَين قرأتُ كلمات بولس: **كفايتنا من الله**. وهذا الصباح أؤكِّد بالإيمان انّك أنت، أنت وحدك، كفايتي. فيا ربّي الحبيب، بكلمات الكتاب المفتوح أمامي، أحمدك على **أنَّك قد نجَّيتني، وتنجّيني، وستنجّيني أيضًا في ما بعد**، من نفسي! شكرًا لك أنت أيُّها الربُّ يسوع، على هذه النجاة العظيمة!

والآن يا ربّ، فيما يُقوّي الروح القدس قلبي بتعزيتك، أطلب إليك مترجّيًا أن تستخدمني اليوم بطرق عمليَّة ومُحبَّة لإيصال تعزيتك ومعونتك لأناسٍ محتاجين إلى محبّتك قد ألتقيهم اليوم!

قراءة

الآية الحادية عشرة: وأنتم أيضًا مساعدون بالصلاة لأجلنا... من أشخاص كثيرين.

أُسائل نفسي كيف كان يمكن لخدمة بولس أن تكون لو لم تكن أيدٍ كثيرة قد رُفعت إلى الله لأجله. كذلك أتساءل أين كان يمكن أن أكون أنا اليوم لو لم يكُن لي أحبّاء كثيرون **مساعدون بالصلاة!**

صلاة

ايُّها الآب، لا يمكنني الإحاطة بمحبَّتك العظيمة لي في كونك قد ثقَّلت على قلوب الكثيرين من أولادك أن يُصَلُّوا لاجل «دوروثي» ولاجلي. كيف يمكنني أن أعبِّر عن شُكراني لك على محبَّتك هذه العجيبة؟

والآن أستودع الله بالتحديد بعضًا من هؤلاء الأحبّاء في فترة صلاةٍ تشفُّعيَّة. وإذ أفعل هذا، أحاول أن أُصلِّي لأجلهم في ضوء الآيات الكتابيَّة التي ما انفكَّ الروح القدس يطبعها على قلبي وحياتي، سائلاً الله أن يؤتيَ قلوبَهم وحياتَهم تعزيتَه (قوَّته) الخاصَّة إذ يتّكلون عليه كلِّيًّا.

قراءة

الآيات ١٥و١٧و١٨: وبهذه الثقة كنتُ أشاء أن آتي إليكم أوَّلاً... أم أعزم بحسب الجسد؟... إنَّ كلامنا لكم لم يكن نعم ولا.

أتأمَّل في تتالي الأفكار هنا. فقد شهد بولس أنَّ اهتمامه بالذهاب إلى كورنثوس ثاني مرَّة لم يكُن إلاَّ لتبليغ «التعزية» و«التشجيع» و«الفائدة» إلى القدّيسين الذين أحبَّهم. لم ينوِ أن يذهب إلى هناك ليأخذ منهم شيئًا، بل على العكس أراد أن يُعطيهم. كذلك شهد بأنَّه لم يستعمل الخفَّة في رسم خطط سَفَره. (لاحظتُ أنَّه لا ذكر لنفقات السفر، وأنَّ المال لم يكن له أيُّ دور في ذهابه!). فيقينًا أنَّ المنفعة الشخصيَّة لم يكن لها أيُّ دور في عزمه على الذهاب إلى كورنثوس.

صلاة×

أيُّها الربُّ الحبيب، بروحك ومن خلال كلمتك اكشف لي أيَّ دافع سيّئ في قلبي من شأنه أن يُخمِد عمل روحك القدُّوس فيما أحدِّد مشيئتك بالنسبة إلى المكان الذي ينبغي لي أن أخدم فيه خلال الخريف الآتي. فيبدو لي أنَّ بولس اقتنع من طريق إرشاد روحك له حين عزم عزمًا غير معتاد على تغيير خُطط سَفَره، وإن كان المؤمنون في كورنثوس قد أساؤوا تفسير دوافعه. ولكنْ شكرًا لك يا ربّ، على أنَّه وإن كان بولس قد قال «نعم» ثمَّ غيَّر إجابته إلى «لا» بالنسبة إلى خطّ رحلته فالكلمة التي وعظ بها لم تكن قطُّ نعم ثمَّ لا، لانَّها في المسيح دائمًا نعم، على نحوٍ أبديّ وغير متغيّر. فلا تغييرات في قلبك يا ربّ، والكلمة التي كرز بها بولس تجد مصداقيَّتها الابديَّة في شخصك. شكرًا لك يا ربّ، على كونك هذه الصخرة الصُّلبة في هذا العالم المحيط بي، حيث الظروف سريعة التقلُّب جدًّا، وحيثُ ينبغي أن تُوضع الخُطَط ثُمَّ تُغيَّر أحيانًا. فيا ربّ، إنَّني في حاجة إلى معرفة خُطَطِك أنت. فاحمني من القرارات التي تنبع من النفعيَّة أو الانتهازيَّة. وأرجو منك أنَ تجعلني أسير في شركة معك كلَّ يوم!

× أرجو أن تطلب الصفحات ١٤٢ و١٤٣ و١٤٤ حيث تجد مزيدًا من الاقتراحات التي تساعدك في الصلاة التشفعيَّة.

قراءة

الآية ٢٠: لأنْ مهما كانت مواعيد الله، فهو (المسيح) فيه النَعم وفيه الآمين، لمجد الله بواسطتنا.

وإذ أُلاحِظ أنَّ وعود الله جُعلت شخصيَّة «بواسطتنا»، أسأل: **أفي هذا المقطع وعدٌ لي فأطالب به؟**

صلاة

بواسطتنا يا رب؟ وعود الله بواسطتنا؟ وعود الله في المسيح؟ جميع وعود الله في المسيح يا رب؟ نعم يا ربّ، شكرًا لك! هذا الصباح، يا ربّ، في حضرة قداستك، أودُّ أن أسجِّل نعمي وآميني الخاصَّتين بالنسبة إلى هذا! ويا إلهي الكريم، لا يمكنني أن أتصوَّر جميع ما قد أعطيتني أنت في المسيح. فبالحقيقة أنَّني لا يمكن أن أتخيّل كيف تكون حياتي فارغة لولاك أيُّها الربُّ الحبيب. إنَّني اليوم، أيُّها الربُّ يسوع، أؤكِّد أنَّك أنت هو كلُّ ما يعوزني فيما أواجه مطالب اليوم بكلِّ ما ينطوي عليه من فُرَص وامتحانات وقرارات.

والآن أقضي بعض الوقت متعبِّدًا ومسبِّحًا ربّي إذ يغمر سلامُه نفسي. لستُ أعلم الإجابات المحدّدة لطلبات صلاتي. ولكنَّ هذا لا يهمُّ فعلاً، لأنَّ في قلبي سلام الله. ولقد قضيتُ وقت معيَّة لا يُقدَّر بثمن في حضرة إلهي. حمدًا له وسُبحًا! وها أنا أنطلق لشؤون يومي الآن وقد زوَّدني الله بغذاء غنيّ من كلمته يستطيع ذهني وقلبي أن يتفكَّرا فيه فيما تواجهني مطالب اليوم لاحقًا.

فلنتذكَّر إذًا كلَّ حين أنَّ الواجب الأساسيَّ الأهمَّ الذي ينبغي لكلِّ واحد منّا أن يُعنى به كلَّ صباح إنَّما هو أن تمثل نفسُه في حضرة الله بحالةٍ هانئة هادئة.

وما أروع أن تعرف أنَّ الربَّ يسوع يُصدِر إليك دعوته الشخصيَّة جدًّا! فهو يُناديك باسْمك ويدعوك دعوة كريمة قائلاً لك: هلمَّ تغدَّ!

حقُّك في كلِّ حين ثابتٌ
بغير تغييرٍ ولا تحوير؛
أنت تُخلِّص كلَّ من يدعو
باسْمكَ أيُّها الربُّ العليُّ.
إنّك صالحٌ لطالبيكَ،
والكلُّ في الكُلِّ لواجديك!
نذوقُكَ أيُّها الخبزُ الحيُّ،
فإذا بنفوسنا تشتهي
أن تتغذّى بكَ أيضًا بعدُ.
ونشربُ منك أيُّها الينبوعُ
فإذا بنفوسنا تعطشُ
لأنْ ترتويَ من مياهِكَ!

برنارد الكليرفوني

ملاحظة: لئن كانت الدراسة المنهجيَّة للكتاب المقدّس أمرًا غير حيويّ بكلّ معنى الكلمة كلَّ يوم، فإنَّ قضاء وقت معيَّة يوميّ أمرٌ لا غنى عنه في سبيل نموّك الروحيّ.

دراسة الكتاب

إليك بعض الأسئلة تطرحُها في ما يتعلَّق بالمقاطع الكتابيَّة التي تقرأُها، حتَّى تكون دراستك للكتاب بانتظام ذات مردود وافٍ:

عمَّن يتكلَّم المقطع؟
إلى مَن يُوجَّه المقطع؟
أيَّةُ كلمات محدَّدة يستخدمها الكاتب؟
مَتى كُتب المقطع؟
مِن أينَ كُتِب المقطع؟
لأيِّ غرض كُتِب المقطع؟
في أيِّ وضع كُتب المقطع؟
ما موقع المقطع في سياق ما قبله وما بعده؟

اجتهد أن تقيم نفسك لله مُزكًّى، عاملاً لا يُخزى، مفصّلاً كلمة الحقّ بالاستقامة (٢تيموثاوس ٢: ١٥).

وقت المعيَّة

إليك بعض الأسئلة تطرحُها فيما تتأمَّل كلَّ آية في قراءتك اليوميَّة للكتاب المقدَّس:

أفي هذه الاية:

خطيَّة أتجنَّبها؟

تحذيرٍ أعمل به؟

وصيَّة أطيعها؟

قدوة صالحة أقتدي بها؟

قدوة سيّئة أجتنبها؟

فكرة جديدة عن الله الآب؟

فكرة جديدة عن الله الابن؟

فكرة جديدة عن الله الروح القدس؟

تبصُّر جديد بشأن شخصيَّة الشيطان؟

تبصُّر جديد بشأن أهداف الشيطان الشرّيرة؟

تبصُّر جديد بشأن مكايد الشيطان الخبيثة؟

ولكنْ كونوا عاملين بالكلمة، لا سامعين فقط خادعين نفوسكم... ولكن من اطّلع على الناموس الكامل، ناموس الحرّيَّة، وثبت، وصار ليس سامعًا ناسيًا بل عاملاً بالكلمة، فهذا يكون مغبوطًا في عمله (يعقوب ١: ٢٢، ٢٥).

دليل الصلاة اليوميَّة

لمساعدتنا في صلاتنا التشفُّعيَّة اليوميَّة، دأبنا أنا وزوجتي «دوروثي» في انتهاج التسلسل اليوميّ الذي اقترحه عليَّ أوّلاً المبشِّر «ثوماس ريز» بُعيَد قبولي للمسيح منذ أكثر من خمسين سنة. فيوم الاثنين مثلاً للإرساليات (حرف الألف وهكذا دواليك).

وبعد أن نُغذّي أنفسنا بكلمة الله ونُصلّي بواسطتها، لا من الرأس بل من القلب، تصير الصلاة التضرُّعيَّة أكثر حيويَّة. وبدل أن يكون التضرُّع من أجل الآخرين عملاً آليًّا رتيبًا، يصبح وقتًا مدروسًا يشغله التشكُّر والتضرُّع لأجلهم والاهتمامُ بأمرهم. ومع أنَّنا لا نحتفظ بلائحة صلاة موثَّقة المواضيع بهذه الصورة، فنحن نتَّكل على الروح القدس لتوسيع وقت صلاتنا بحيث يشمل جميع احتياجات الصلاة الراهنة مهما كانت.

لا تهتموا بشيء، بل في كلِّ شيءٍ – بالصلاة والدعاء مع الشكر – لتُعلَم طِلْباتكم لدى الله (فيلبّي ٤: ٦).

ملاحظة: إنَّ **دليل الصلاة اليوميَّة** التالي لا يتخطَّى الصلاة لأجل الاحتياجات ذات الطابع الشخصيّ، ولا تلك التي قد تستجدُّ كلَّ يوم.

الاثنين .... الإرساليات التي أشركَنا الله في خِدْماتها وجعلها تحظى باهتمامنا.
إرساليات

الثلاثاء .... وقتٌ مخصَّص للثناء والتعبُّد نظرًا لكلِّ ما هو الله عليه في ذاته وكلِّ ما فعله، وكلِّ ما سيفعله، وكُلِّ ما أعطاه.
ثناء

الأربعاء .... الرعاة، المبشِّرون، معلّمو الكتاب المقدّس، سائر الخدَّام.
أصحاب المواهب

الخميس .... المسؤوليات المحليَّة، واجبات الخدمة، الالتزامات المادّية، إلخ.
خدمات

ج

الجمعة
جماعتنا ..... عائلتنا الصغرى، والأسرة الكبرى التي تجمع أقرباءنا، فضلاً عن أولئك الذين صاروا لي ولدوروثي أحبّاء أعزّاء لكونهم أولادًا لنا وأحفاد في المسيح.

س

السبت
سلامة النفوس ..... الخدمة حول العالَم، المحتاجون إلى الخلاص من أشخاصٍ التقيناهم وشهدنا لهم ومن أقرباء غير مخلَّصين، إلخ.

أ

الأحد
أهل بيت الله ..... مَن نعرفهم مِمَّن أقبلوا إلى المخلِّص حديثًا، شركاؤنا في الصلاة ممَّن أغنى الله حياتنا بواسطتهم، الكنيسة المضطّهدة (وعنها نلتمس باجتهادٍ معلوماتٍ مفصَّلة)، النهضة في الكنيسة اليوم.

أكثر من ٣ ملايين نسخة بخمسين لغة

بحثك عن الله

ريتشارد أ. بنيت

بحثك عن الله

ريتشارد أ. بنيت

بحثك عن الله

ومهما كان المرء ذكيًّا، فهو لا يقدر البتّة أن يكتشف الإله الحيّ بالحكمة العالميّة. فإنَّ العالم... لم يعرف الله بالحكمة. ولو كان ممكنًا اكتشاف الله من طريق الذكاء البشري، لكان أصغر من أن يكون إلهًا. ليس ذلك فقط، بل أيضًا لو كانت الفطنة البشريَّة ضروريَّة لاكتشاف الله لكان أولئك الذين لا يملكون قدرًا وافيًا من الذكاء محرومين في بحثهم عن الله. ولكن ليس هذا هو واقع الحال.

في صليب المسيح، تلاقت قداسة الله وعدالة الله ومحبَّة الله جميعًا في تضحيةٍ واحد فائق. فهنالك تزكَّت قداسة الله، وعدالتُه اكتفت؛ وهنالك طوَّقت محبّة الله ناسًا خُطاة، مثلي ومثلك. إلاَّ أنَّ الثمن الذي دفعه الله كان باهظًا.

كتاب لا بدّ منه للباحث عن الله بجديَّة

www.ccim-media.com